حنطة

حنطة | السنة الثالثة | العدد ١٣ | كانون الثاني ٢٠١٤ | شهرية مستقلة

مخيم يحاصر الحصار وجبهة شعبية.. أحمد عيساوي

قتل ..تهجير.. اختطاف.. بانوراما صحفيين في سوريا .. عابد ملحم

أنا منشق إذاً أنا موجود .. غياث عبدالعزيز

د. فداء الحوراني على بيادر حنطة ... ناجي الجرف

من مسائل الثورة السورية..مروان عبدالهادي

في معنى الذهاب أو عدم الذهاب إلى جنيف ٢..عبدالله أمين الحلاق

الأصوليات الاسلامية والفكر الديمقراطي في الثورة السورية..جمال الجميلي

حين تراجع السينما ثورات الجيل الأدبي.. علي سفر

كفالة اليتيم ثورة بحد ذاتها.. ولات أحمه

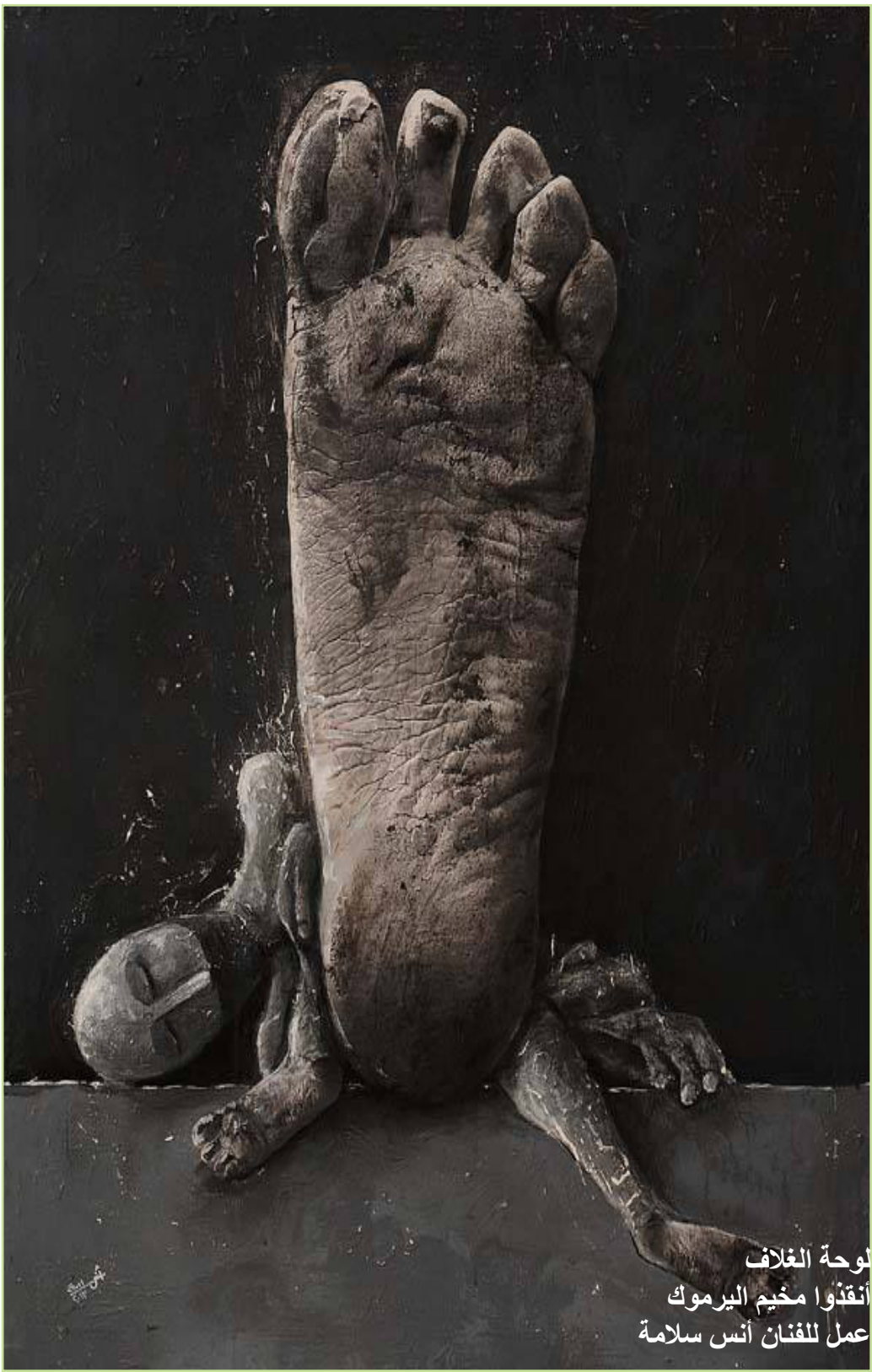

لوحة الغلاف
أنقذوا مخيم اليرموك
عمل للفنان أنس سلامة

إن الآراء الواردة في حنطة تعبر عن رأي الكاتب ولا تعبر بالضرورة عن رأي الصحيفة
www.hentah.com

مخيم يحاصر الحصار وجبهة «شعبية»

أحمد عيساوي

إلى أنس عمارة وحسان حسان

مع كل صاروخ غراد يسقط على فرن، أو مشفى أو حي سكني يقطنه مدنيون، مع كل ورقة نعوة تلصق على جدار في المخيم، مع كل نقطة دم ينزفها فلسطيني قنصا او تعذيبا او قصفا.. تزداد القطيعة بين أهل الشتات الفلسطيني وكل إطار فصائلي أو رسمي، وتَكتب التغريبة الفلسطينية، مصحوبةً هذه المرة بمرارةٍ سورية، فصلا جديدا من الخذلان يضاف إلى الرصيد الكبير الذي خبره اللاجئون منذ نكبة ٤٨.

مرت أشهر عديدة ومخيم اليرموك – قلب دمشق الجنوبي – يتعرض لحصار خانق من القوات النظامية، بحيث يستحيل إدخال المواد الغذائية والصحية الى العائلات التي لم تغادر المخيم، وبات الأمر مأساويا لدرجة دفعت بعض رجال الدين إلى استصدار فتوى تبيح أكل لحم القطط والكلاب.

الصور والتسجيلات القادمة من أحياء دمشق الجنوبية عن أطفال ماتوا من الجوع ومسنين قضوا بسبب عدم توفّر أدوية السكري والضغط وأمراض القلب، لا تعبّر إلا عن وضاعة الفصائل الفلسطينية ودناءتها في ظل تعاطيها إما بالصمت المطلق أو بأصوات الشواذ الداعمة لنظام الطاغية.

يهمني اليوم أن أعرّج قليلا على موقف (الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين)، باعتبارها الفصيل الأكثر تمثيلا لليسار الفلسطيني، وفي ضوء تعامل قيادة الجبهة مع محازبيها أولا ثم مع الفلسطينيين بشكل عام. لا بد من التأكيد على أنّ المشكلة التي يعانيها اليسار العربي بشكل عام هي ذاتها معضلة (الشعبية) التي تخلت عن العنوان العريض الذي قامت من أجله. أليست (الشعبية) من حمل شعار الترابط العضوي بين النضال الوطني والنضال الطبقي؟ أليست (الشعبية) من رفع الدعوة إلى تحرير العواصم العربية من حكامها المستبدين من أجل تحرير فلسطين؟ أليست الجبهة من قال بالتضامن الأممي، بحيث يعتبر نضال الشعب الفلسطيني جزءا مكملا لكل نضالات الشعوب من أجل الحرية والكرامة والعدالة الإجتماعية؟ (المادة العاشرة من النظام الداخلي للجبهة).

أنقذوا مخيم اليرموك – عمل للفنان أنس سلامة

سيخرج البعض بعد قراءة هذه السطور ليقول بشكل صريح: الجبهة تناضل من أجل كرامة وحرية الشعب السوري عندما تتوفر الأطر الديمقراطية والتقدمية لهذا النضال. وهذا القول فيه سفاهة تفوق كلام الجبهويين المؤيدين لبراميل الـ TNT وصواريخ السكود والقنابل الفراغية وأعمال القتل والتعذيب الممنهجة في أقبية المخابرات.

الثورة ليست نظيفة ولا نقية وفيها ما فيها من متسلقين ومستبدين جدد وخارجين عن استبداد قومجي شعاراتي إلى آخر ديني ممنهج ومعلّب بالشكل الذي يمنع أي فرز علماني، ديمقراطي أو إسلامي متصالح مع الهوية الوطنية التعددية للشعب السوري.

وليس مطلوبا من (الشعبية) بقيادتها أن تقف مع الثورة، لكن أقل المأمول من حزب يدّعي انحيازه للطبقات الشعبية وللمفقرين من سياسات النهب المافياوية لشاليش ومخلوف، أن تأخذ موقفا مبدئيا، موقفا يحمي المخيمات وناسها ويجنّبها معارك لا قدرة فيها للفلسطيني على تحمل مسؤولياتها.

يرى البعض في الصمت سبيلا لتحييد اليرموك عن القصف والتدمير، ويرى البعض الآخر في تأييد النظام انتصارا للمقاومة وفلسطين. هذان الموقفان عبّرا بشكل كبير عن (الشعبية) وقيادتها، وحتى بعض محازبيها (خاصة داخل فلسطين المحتلة)، فيما ارتأى الرفاق في سوريا التحدي والثورة على قيادة لم تبتعد عن موقف (فتح) التي خذلت ناشطيها الشباب، وباعت ضميرها لقاء بعض التلزيمات الإدارية في هذا الإقليم وذاك (تصريحات ولقاء عباس زكي بالرئيس السوري لاقَيا سخطا كبيرا من فتحاويي سوريا، خاصة نشطاء العمل الإغاثي في المخيمات).

العار، أن يخرج على شاشات التلفزة مناضلون من طراز ليلى خالد ليبرروا قصف مخيم اليرموك بحجة وجود «أفغان» يسعون للسيطرة عليه.

العار أن يتم طرد رفاق من الجبهة الشعبية بعد اعتقالهم، ويتم تجميد عضويتهم بعد التأكد من مشاركتهم في نشاطات داعمة لحراك السوريين (وهنا أتحدث عن مظاهرات سِلمية تماماً)، العار أن تتخذ الشعبية خطوات تأديبية بحق رفاق شاركوا في مسيرة النكبة في أيار مايو ٢٠١١ وعادوا الى مخيمهم وخرجوا يوم الجمعة ليهتفوا ضد نظام استغلهم وزايد وساوم على دمائهم.

من المهانة أن يُستدعى الرفيق الشهيد حسان حسان الذي قضى تعذيبا في فرع فلسطين، فرع الأمن الذي يحمل اسم القضية التي يحملها نظام الطاغية شماعة منذ عقود أربعة– وتجمّد عضويته، فيقدم استقالته، والسبب هتافه بعد مسيرة النكبة «يا ماهر ويا جبان روح تمرجل بالجولان».

تخجل الجبهة الشعبية أن تزف شهداءها الذين

يسقطون في سجون النظام أو يقتلون باعمال القصف، لم تشر ولا ببيان نعوة حتى إلى الرفيق أنس عمارة الذي انتسب للتنظيم وعمل فيه اكثر من عشر سنوات، وحدث الأمر نفسه مع حسان حسان (فصلته الجبهة سنة ٢٠١٠ لأسباب تتعلق بالسلوكيات والآداب) ومع الشهيد عامر أبو ليلى الذي استشهد في ١٣ آذار ٢٠١٣ (وهو كان ترك التنظيم قبل الثورة بفترة وجيزة).

سؤال مشروع يطرحه جبهويون: لماذا لا تبادر الجبهة إلى إعداد ملف للمطالبة بحرية معتقليها الذين ما زالوا يمارسون عملهم الحزبي، وقرروا المشاركة بأعمال الإغاثة (الإسعاف والطبابة وتأمين المواد الغذائية)؟

لماذا لا تطالب الجبهة بحرية حسام موعد، المعتقل للمرة الثانية، منذ سنة تقريبا وهو ناشط في صفوف الجبهة؟

مثال حي على «تطنيش» الجبهة لمحاربيها، الرفيق أحمد جليل (من خان الشيح) معتقل منذ منتصف شهر حزيران ٢٠١٣، كان عضو رابطة ثم خلية، وبقي محسوبا على الجبهة ، اعتقل من حاجز اللواء ٦٨ بخان الشيح، وهو طالب كيمياء من مواليد ١٩٨٨.

قال لي الشهيد أنس عمارة ذات مرة: «الجبهة خذلتنا وخذلت تاريخها قبل كل شيء، انظر رفاقنا في المعتقلات. القيادة لم تحرك ساكنا، لم تصدر بيانا يدين اعتقال الرفاق، حسام خالد موعد، وأحمد مرعي مصلح، وعلي وبشار مصلح (..) أنا جبهاوي خارج التنظيم اليوم، وفلسطينيتي دليلي إلى سوريتي، فلسطينيتنا هوية سوريا الوطنية».

لقد أطاحت الثورة السورية بكل بديهيات الفكر الكلاسيكي، ولم يعد الجبهويون في سوريا بحاجة إلى الكراسات الماركسية والمؤتمرات الداخلية لتكثيف الوعي واتخاذ القرارات «الحكيمة» في ما يتعلق بالسوريين والمخيمات والعمل الإنساني التطوعي. كثافة الدماء الفلسطينية السورية تكفي لتدليل المعنى إلى حيث ذهب حسان حسان وأنس عمارة وغيرهم من الفلسطينيين كخالد بكراوي وأحمد كوسى وجعفر محمد وأيمن جودة ومحمد طه وشحادة الشهابي ومنير الخطيب وغسان الشهابي و..

هؤلاء لم يكونوا لا «أفغاناً» ولا «شيشاناً» ولا مرتزقةَ أنظمةٍ رجعية تناصب نظام الممانعة العداء الضمني»، هؤلاء كتبوا اليوم تاريخا ناصعا للمخيمات وأسسوا من جديد لشراكة الدم ووحدته في معركته الأنبل ضد الاستبداد، الذي لم ولن يخدم إلا الاحتلال.

ما الذي يمكن أن يقال أيضاً؟ تحية خاصة لكل شباب الجبهة الشعبية الذين اختاروا شعبهم وفضلوا (إنسانهم) على (قيادتهم)، تحية للرفاق الذين قدموا استقالاتهم احتجاجا على خذلان مستمر، تحية للذين جُمدت عضويتهم بسبب اعتقال أو نشاط ميداني. والتحية الأكبر للشهداء الذين تبرأ التنظيم من دمائهم، وللمناضلين المستمرين في المخيمات وخارجها في سوريا.. لهؤلاء التحية والخلود.

زيارة إلى فرع الهلال الأحمر في بنش

جمال نجد

في ظل الظروف الإنسانية القاهرة التي يعيشها الشعب السوري، يتعزز حضور المنظمات الإغاثية والإنسانية، لأن الدور الأكبر يقع على عاتقها في إغاثة المنكوبين وتقديم الدعم. في هذه المساحة، سنسلط الضوء على إحدى أهم المنظمات الانسانية التي تعمل بكل طاقتها وطواقمها لتقديم المساعدات للناس بكل أنواعها.

الهلال الأحمر منظمة إنسانية دولية، انبثقت عن منظمة الصليب الاحمر الدولي، على شكل لجان في الدول العربية والإسلامية، ثم تحولت إلى منظمات في هذه الدول وهي مرتبطة مع الاتحاد الدولي للصليب الأحمر.

وقد تأسست شعبة الهلال الأحمر في مدينة بنش في ٢٠٠٣/٧/٢٩ بهيئة عامة من خمسة وسبعين متطوعاً من مختلف الأطياف في المدينة.

قمنا بزيارة شعبة الهلال الأحمر في بنش، التي تعدّ من أنشط الشعب في المجال الإنساني، وتغطي مناطق عدة، فاستضافنا في مقر الشعبة، رئيسها المهندس خالد حاج بكور(أبو سليمان) ورحب بنا، لنوجه إليه بعض ما في جعبتنا من أسئلة حول عمل الهلال الأحمر في بنش.

خاص حنطة – متطوع في الهلال الأحمر السوري في مدينة بنش

حدثنا عن الخدمات التي يقدمها فرع الهلال الأحمر في المدينة، سابقا وفي ظل الأوضاع الحالية.

يعمل الهلال الأحمر في زمن السلم كما زمن الحرب، وتختلف الاستراتيجية وأدوات العمل بين الزمنين.

في زمن السلم يقوم الهلال الأحمر بتحضير طواقمه ومتطوعيه وكل من يشاء التدرُّب، خلال دورات منتظمة، وتعليمهم طرق الإسعافات الأولية والعمل في ظرف الكوارث والحروب.

أما في زمن الحرب، فتستعد كل طواقم الهلال ومتطوعيه لتطبيق وتنفيذ ما تم تعلمه. هنا في بنش، تحولت شعبتنا وعيادتها المتواضعة إلى

مشفى، فقد توسعت أعمالنا، وكانت الحالة العسكرية قد تطلبت أن يستنفر الطاقم الطبي المؤلف من أطباءٍ وممرضي المدينة، للعمل وخدمة المصابين من جراء الحرب، كما أن مسألة توزيع الإغاثة كانت من أهم الخدمات التي شغلت الهلال في هذه الفترة، فقد قامت الشعبة بتوزيع آلاف السلل الغذائية، مع كل ما رافق الأمر من مشاكل النقل وانقطاع الطرق، والتعدي على قوافلنا، ولم تكن السلل الغذائية هي ما تم توزيعه فقط، بل السلل الصحية والأدوات الميدانية و الخيم ومستلزماتها.. ولا يتسع الكلام لما قدمته الشعبة لأهالي الشهداء وللجرحى والنازحين إلى مدينتنا والأهالي المحتاجين..

ما هي الجوانب التي يغطيها الهلال الأحمر حاليا؟

– يعمل الهلال الأحمر على أكثر من صعيد، وأهم ما نعمل عليه الجانب الطبي والإغاثي. طبيا، شاركت الشعبة وفي أهم فترات القتال بإنقاذ وإسعاف الجرحى، بطاقمها ومعداتها المتواضعة، أما إغاثيا فقد تم توزيع آلاف الحصص الغذائية خلال السنتين السابقتين ضمن المدينة ومحيطها.

ما هي المناطق التي تغطيها شعبة الهلال الأحمر في بنش؟

– يفترض أن تغطي الشعبة مدينة بنش وريفها المحيط، لكن ظروف العمل والطرقات وبعض المشاكل اللوجستية، حصرت عملنا في خدمة أهل المدينة، بعد أن كنا نعمل في قرى (طعوم) و(تفتناز) و(معارة) وقرىً أخرى مجاورة، لكن كانت الظروف صعبة وتطلبت أن تغطي الشعبة كامل متطلبات أهالي المدينة، خاصة مع ازدياد عدد الأسر المحتاجة إلى أكثر من ثلاثة آلاف أسرة.

ما هي مصادر المعونات التي توزعونها، وما ردكم على ما يقال من أن النظام هو مصدر هذه المعونات؟

– مصدرا الدعم الرئيسيان لشعبتنا هيما برنامج الغذاء العالمي، واللجنة الدولية للصليب الأحمر، ما من مصدر آخر.

ما هي الصعوبات التي تواجهكم؟

إن أهم الصعوبات التي تواجه فروع وشعب الهلال الأحمر بشكل عام هي طرق الإمداد التي تسير عليها القوافل، خاصة أن النقطة الرئيسية للنقل هي الميناء البحري في اللاذقية وطرطوس، الخاضعان لسلطة النظام. أضف إلى ذلك التعدي على هذه القوافل من قبل مجهولين، ثم إن عملية التوزيع غير المنتظم تحول دون وصول هذا الدعم إلى مستحقيه، وذلك لعدم خبرة هذه اللجان أو عدم وثوق الأهالي بها أحياناً. وهناك صعوبات لا يمكن حصرها بعد وصول هذه المواد، من قبيل الدعم المالي لأجور النقل والتحميل وإيصال هذه المواد إلى الأهالي في بيوتهم، هناك الكثير من المعوقات التي لا يتسع المقام لتعدادها.

هل لك أن تتحدث أكثر عن معاناة متطوعيكم؟

– إن الفهم الخاطئ لأهداف وعمل الهلال الأحمر والجهل بمبادئه من أول أبواب المعاناة التي تواجه عمل الهلاليين، كذلك الاتهامات التي يُتهم بها عناصرنا، مع أن عملنا واضح وضوح الشمس، سواء أصبنا أو أخطأنا.

هناك اتهامات بالابتعاد عن أحد أهم مبادئ منظمة الهلال الأحمر، وهو مبدأ (الحياد) تجاه طرفي الصراع في سوريا. ما ردكم على هذه الاتهامات؟

فعلا، هذا وارد وكثيراً ما نسمع مثل هذه الإتهامات في الوسط الإغاثي، لكن من يشاهد عملنا وكيفية مشاركتنا في كثير من المواقع الساخنة، وعدد الشهداء من المتطوعين والجرحى والمعتقلين الهلاليين، لا يستطيع القول بأن الهلال الأحمر منحاز إلى جهة أو فصيل ما. وهنا يجب التفريق بين نوعين من العمل الإغاثي الذي يمارسه الهلال الأحمر، الأول عمله في المناطق المسيطر عليها من قبل الحكومة، والثاني العمل في مناطق المعارضة، فهذه المعادلة الصعبة لا يمكن حلها بسهولة والوصول إلى المتضررين إلا بوجود الهلال، ومبدأ الحياد الذي يؤمن به بعيدا عن السياسة والعسكرة، وهو نحاول قدر المستطاع العمل عليه، بالتركيز على الشأن الإنساني والتوسط بين الأطراف المتنازعة في كثير من المواقع، مثلاً تم التوصل إلى أكثر من اتفاق هدنة لإدخال الإغاثة أو إخراج الجرحى، أو الدخول إلى السجون أو إدخال المؤن إلى أحياء محاصرة أو إخراج رهائن لدى الطرفين.. إلخ. برأيي أن مبدأ الحياد مراعىً تماما في عملنا، والهلال الأحمر كان حاجة ملحة للطرفين.

سمعنا عن وجود مشاكل بين الهلال الأحمر وبعض الجهات المعنية بالعمل الإنساني، مثل اللجنة الخيرية الأهلية. ما هي طبيعة هذه المشاكل، وهل هناك تعاون مع أطراف أخرى؟

– بشأن طبيعة الخلاف الذي حصل مع لجنة الإغاثة، الهلال للجميع، ومن أهم مبادئه عدم التمييز بين الناس. لن أخوض أكثر لأننا منفتحون على الجميع، وما كان تم تجاوزه، ونحن دائما ننشد التعاون مع كل الجهات واللجان، لأن في ذلك تطبيقا لقوله تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان).

هل تتعرض فرق الهلال الأحمر لمضايقات من قبل الكتائب أو المسلحين؟

– بفضل حيادية الهلال وتفانيه في خدمة الجميع، تشكل لدى فصائل المعارضة فهم واضح حول العمل المدني الذي يتولاه الهلال، لذلك لم يتعرض متطوعونا إلى أية مضايقات تذكر.

هل مساعداتكم لجميع الناس أم هي مخصصة للفقراء؟

– إن حالة النزوح ومن ثم العودة يشكل لدى كثيرين فهماً بأن الإغاثة هي للجميع، وبالنسبة إلى بعض المناطق التي توزع فيها الإغاثة، مثل المخيمات، فإن الإغاثة للجميع هناك. لكن ما يحصل عندنا في المدينة أن هناك أكثر من ٣٧٠٠ طلب، والإغاثة التي تصلنا لا تكاد الكاد تغطي ٢٠٠٠ طلب إغاثة، مما يجعلنا نتشدد في دراسة الطلب، ونفرق هذه الطلبات إلى ثلاثة مستويات تقييمية. إذن هي ليست للجميع، وعلى هذا الاساس يتعرض الهلال الأحمر أحيانا إلى سيل من الاتهامات حول صحة التوزيع.. أخيراً، لدينا أخطاء لأننا بشر، نخطئ ونصيب، ومن يعمل أكثر يخطئ أكثر، لكننا والحمد لله راضون عن عملنا وعن مستوى الجهد المبذول.

كلمة أخيرة..

نطمح أن يؤمَّن لفرق الهلال الأحمر الوصولُ الآمن إلى كل الأماكن المتضررة، وأن نستطيع الوصول بسيارات الإسعاف إلى كل المشافي دون التعرض لها، وأن تتاح عودة النازحين سريعاً إلى بيوتهم، ليتسنى للهلال الاحمر أن يقدم خدماته في ظل ظروف أفضل. في الختام، التطوع هو عطاء دون أخذ، وتفانٍ دون منة.

منتدى المعرفة وحرية التعبير بنسخته الرابعة يستقبل رئيس الحكومة المؤقتة أحمد طعمة في حوار مفتوح

نور صالح

انعقد في مدينة غازي عينتاب التركية منتدى المعرفة وحرية التعبير، الذي تقيمه مجلات (حنطة) و(صور) و(ضوضاء)، ويستقبل شخصيات سياسية وثقافية سورية لمناقشة وتطوير فكر الاختلاف وتداول المعرفة وحرية التعبير، واستضاف المؤتمر في نسخته الرابعة الدكتور أحمد طعمة رئيس الحكومة السورية المؤقتة، الذي تحدث في حوار مفتوح مع الشباب والإعلاميين، وأجاب عن تساؤلاتهم التي دارت حول محاور سياسية واجتماعية واقتصادية، كما ركز ناشطون على ما اختص بالواقع الخدمي ودور الحكومة المؤقتة في تعزيز مقومات الحياة في المناطق المحررة، وقال طعمة ردا على سؤال عن دور الحكومة المؤقتة في إيصال الإغاثة والمساعدات الغذائية إلى المحاصرين، إنها أرسلت مساعدات بمبلغ نصف مليون دولار لغوطة دمشق المحاصرة، سيتم إيصالها في مواعيد تدرسها الحكومة مع الكتائب العاملة على الأرض، وإن العاملين في الجهاز الإداري والميداني للحكومة يفعلون ما بوسعهم للوصول إلى كل المناطق، منوهاً بأن الحكومة السورية المؤقتة تعد خططا على كل المستويات للتعامل مع التحديات.

واستفاض طعمة في الحديث عن مؤتمر جنيف٢ واحتمالات مشاركة المعارضة فيه، وقال إن المؤتمر إذا ما انعقد على أساس الالتزام بوثيقة جنيف١، التي تتضمن نصا واضحا بضرورة تشكيل هيئة حكم انتقالية وإنجاز التغيير الديمقراطي للسلطة وإجراء انتخابات عامة من دون الأسد، وتطهير الأجهزة العسكرية والأمنية، فإن فرصة نجاحه ستكون أكبر، وهذا ما يتجه المؤتمر نحوه، ولهذا فإن الائتلاف قد يوافق على حضور المؤتمر إذا تم ضمان التزام الأسد بنقل السلطة، واعتبر طعمة أن أي دولة تقبل مخرجت مؤتمر جنيف١ تملك الحق في حضور جنيف٢، وأن المشكلة مع إيران هي في تجاهلها التام لما اتفق عليه في جنيف١، طعمة قال أيضاً تعليقاً على الزيارة الأخيرة التي قام بها رئيس الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة أحمد الجربا إلى موسكو، إن الائتلاف مستعد للذهاب إلى أي مكان لعرض قضية الشعب السوري، وإن التعامل مع أي طرف دولي ليس خطأ، بل الخطأ هو الإخلال بالأسس التي قامت عليها الثورة السورية.

غياب الحكومة المؤقتة عن محافظة الرقة، التي كانت أول محافظة محررة، ومناطق أخرى بينها حمص، كان مما اعترف به رئيس الحكومة المؤقتة، رداً على استفسارات ناشطين من المحافظتين في المنتدى، وقال إن طبيعة العمل البيرقراطي والآليات الإدارية التي تكبل عمل المعارضة تلعب دورا في إضعاف حضورها في المناطق، مؤكداً أن الحكومة المؤقتة تتواصل مع الكوادر الميدانية والإغاثية والخدمية وقادة الكتائب في كل المناطق، وأن حضورها قد لا يكون قوياً ولكنه موجود بقدر المتاح.

وأكد أن المعاملات المالية داخل الائتلاف والحكومة المؤقتة تراقب بآليات ديمقراطية، وأن الأموال التي تصل إلى الحكومة المؤقتة توزع في الأماكن المخصصة لها ووفقا لبرامج وخطط يضعها خبراء داخل الحكومة، ووعد بأن يكون للحكومة المؤقتة دور أكبر وأكثر فعالية إذا ما أتاحت الظروف الدولية والواقع الميداني للثورة أن تستطيع الحكومة تطوير أدواتها وتقوية الروابط بينها وبين الداخل، وقال أيضاً إن نية انتقال وزراء الحكومة المؤقتة وعامليها جميعا إلى الداخل السوري والعمل في المدن والقرى المحررة، فكرة قائمة دائماً، وأن من الممكن تطبيقها حالما تسمح الظروف.

وأكد طعمة في نهاية اللقاء، أن مكاتب الائتلاف والحكومة المؤقتة في تركيا وغيرها مفتوحة لكل السوريين، وناشد الجميع التوجه إليها حال مواجهتهم أي مشاكل تخص وضعهم، مشددا أن الحكومة لن تتوانى عن تقديم المساعدة قدر مستطاعها، ومجدداً التأكيد على دور الشباب في صناعة التغيير الذي ينشده السوريون نحو الحرية والعدالة والمواطنة.

خاص حنطة

خاص حنطة – د.أحمد طعمة ضيف منتدى المعرفة وحرية التعبير

قتل.. تهجير.. اختطاف بانوراما الصحفيين في سوريا.. وتحريرٌ لم يؤتِ ثماره بعد

عابد ملحم

شكّل اختطاف الصحفيين والإعلاميين في الأشهر الأخيرة في سوريا ظاهرةً انشغلت بها وسائلُ الإعلام، والمنظمات الدولية وحقوق الإنسان، إذ كان لها قصب السبق في التنامي في بلدٍ يشهد صراعاً بدأ ينحدر نحو ما يمكن أن يسمى حرباً أهلية.

وتدخلت الظروف التي تعيشها سوريا من فوضى عارمة ودخول أطراف عديدة في الصراع السوري ذات أيديولوجيات مختلفة، لتكون عاملاً مساعداً لتنامي تلك الظاهرة.

ووثّقت المنظمات الدولية وعلى رأسها منظمة «مراسلون بلا حدود» ٧١ صُحفياً قتلوا في العام ٢٠١٣ خلال ممارسة أعمالهم، كما سجلت المنظمة زيادة كبيرة في عدد الصحفيين الذين تعرضوا للخطف من ٣٨ في العام ٢٠١٢، إلى ٨٧ في العام ٢٠١٣ والنسبة الساحقة لعمليات الخطف تمت في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، حيث خطف في سوريا لوحدها ٤٩ صحفياً.

قبل عامين..

مع بداية دخول العام ٢٠١٢ بدأت كتائب الجيش الحر الذي كان عددهُ في تكاثر مستمر آنذاك، بتحرير أجزاء واسعة من الأرض السورية، لتصل مع نهاية العام إلى وقوع محافظات كاملة بأيدي المنتفضين ضد النظام السوري والمطالبين بسقوطه.

في ذلك الحين كانت وسائل الإعلام تُمنع غالباً –وخاصة تلك التي تواكب بشكل كثيف الحدث السوري– من الحصول على تصريح من وزارة الإعلام السورية للعمل داخل الأرض السورية وتغطية المعارك الدائرة هناك، وذلك لعدة أسباب، أهمها محاولة النظام السوري ضبط الحركة الإعلامية العربية والعالمية من خلال احتكار مصادر المعلومات، وعدم إفشاء المعلومات عن المعارك الدائرة.

التكنولوجيا الحديثة استطاعت ومنذ اليوم الأول خرق ذلك المنع لتصبح القنوات الفضائية ووسائل الإعلام العالمية وكبريات الوكالات

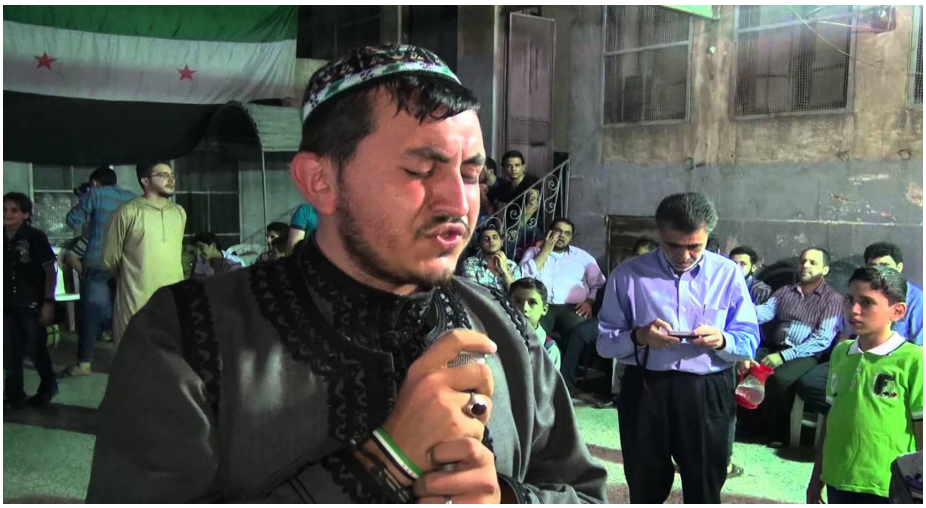

عبد الوهاب الملا – مواطن صحفي مختطف من قبل مجهولين في مدينة حلب

تحظى بعشرات المصادر من داخل الأرض وثقت بعدسات الموبايل، ولاحقاً بكاميرات احترافية ما كان يحدث، لتأتي نظرية الأراضي المحررة لتحل المعضلة بشكل كامل، فاستطاع مئات الصحفيين ووسائل الإعلام الدخول إلى سوريا عبر الحدود التركية والتي أصحبت معابرها إلى الداخل بيد الجيش الحر.

وفي مدن كحلب والرقة، والتي شُكّلت فيها منظومات شبه حكومية تابعة للمعارضة تارة، وأخرى لفصائل تحمل مشروعاً إسلامياً، فظهرت في البداية ظاهرة الـ «فيكسر» وهو مصطلح يدل على الشخص الذي يقوم باستقبال الصحفي الأجنبي، وتولي مهمة الترجمة له، وتوفير مصادر المعلومات، وأيضاً إتاحة الفرصة له للتحدث مع قادة عسكريين وزيارة جبهات ساخنة، وأيضاً تأمين الإقامة والاتصال بالإنترنت (عبر جهاز بث فضائي غالباً) مقابل مبالغ مالية.

وبدأت تلك الظاهرة بالانتشار بشكل كبير في العديد من المدن السورية لا سيما في الرقة أوّل محافظة محررةٍ بالكامل، وإن كانت حلب قد سبقتها بأشواط في هذه المجال.

لم تكن الفصائل العسكرية آنذاك تكترث للإعلاميين والصحفيين القادمين، وكان التساهل معهم حاضراً بشكل دائم، الأمر الذي باغت قادة تلك الفصائل، فدخل عشرات الجواسيس لأجهزة استخبارات عديدة، بصفة صحفي، وتسبّب ذلك غالباً بإفشاء العديد من المعلومات والصور، لتلك الأجهزة وتسريبها لاحقاً لوسائل الإعلام الغربية، لأمرٌ اعتبره الناشطون على الأرض تشويهاً للثورة وصورة المقاتلين.

خرجت مئات التقارير والأفلام الوثائقية والصور التي تحكي الوضع السوري، وتصدرت الصور صفحات وسائل الإعلام الغربي في شكل بدا أنه تعاطف مع الثورة والثوار إلا أن ما حدث بعد ذلك غيّر الكثير..

التحوّل..

بدأت مظاهرة «الأسلمة» تظهر على الكتائب المقاتلة لقوات النظام، وإن كانت موجودةً منذ البدء إلا أنها كانت خجولة، خاصة إلى جهة تطبيق النصوص الدينية أو ما يعرف بالشريعة الإسلامية.

ومع دخول العام ٢٠١٣، وانفراط عقد جبهة النصرة، إثر مبايعة «الجولاني» لـ زعيم تنظيم القاعدة «أيمن الظواهري»، ظهر تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام، والذي أظهر تشدّده منذ البداية، فكان حاسماً مع وسائل الإعلام، وخاصة الأمريكية منها، ولما تشكّله مفردة «أمريكا» لمقاتليه، فقد تعرّض الصحفيون الأمريكان إلى أكبر موجة من الاختطاف وذبح لاحقاً، وبقي عشرات منهم حتى اليوم مجهولي

المصير كالصحفي «ستيفان ستولوف» الذي استقبله أحد «الفيكسرية» من الحدود السورية التركية قادماً به إلى حلب، فخطف الاثنان، ليفرج عن الأول ويبقى الثاني بمصير مجهول.

أمني في تنظيم الدولة: الصحافة هي قلب الحق باطلاً، والباطل إلى حق!

العبارة أعلاه، جملة أطلقها أحد القادة الأمنيين في تنظيم الدولة، عندما سمع بأني صحفي أثناء تعريف صديق مشترك بيني وبينه..

تعميم ذلك المفهوم على باقي أفراد التنظيم وأيديولوجيته، أمر واقع، وإذا ما أضفنا جنسية الصحفي، أمريكياً كان أو غير ذلك، فهو بنظر التنظيم إمّا جاسوس، أو مجرّد كافر يوجب قتاله.

ومن ذلك المنطلق بدأت حملة خطف الصحفيين تزداد باطراد مع تزايد نفوذ تنظيم الدولة ومساحة الأراضي الواقعة تحت نفوذه.

أنكر التنظيم مراراً قيامه بخطف الصحفيين والنشطاء الإعلاميين في الداخل، وذلك بعد تدخّل أصحاب نفوذ عسكريين وأمنيين للإفراج عن بعض المعتقلين، ولعلّ أبرز تلك الحوادث ما حدث مع الإعلامي «عبد الوهاب ملّا» عندما أُعلن عن اختطافه، وبحكم معارف «الملا» الكُثر في صفوف الجيش الحر والفصائل الأخرى، فإنّ أحداً لم يتمكّن من الوصول إلى سحب اعتراف من التنظيم بأنه المسؤول عن اختطافه.

ما حدث مع الملّا حدث مع كثر غيره، كـ «عبيدة بطل» مراسل تلفزيون أورينت واثنين من فريق البث المباشر، تكرر مرات عدة بعد ذلك مع آخرين كـ «أحمد بريمو» الصحفي والناشط في مجال الإغاثة، وأيضاً مع «مؤيد سلوم» مراسل تلفزيون أورينت، بل حتى أن التنظيم أصدر مرةً بياناً يتعهد فيه بالبحث عن هؤلاء المختطفين.

محمد سعيد.. رحيلٌ يؤسّس لاتحاد إعلاميين في الدخل..

ألهب اغتيالُ محمد سعيد مراسل قناة العربية، في قريته «حريتان» بريف حلب بثلاث رصاصات في الرأس من مسدس كاتم للصوت، أثناء وجوده عند الحلاق، مشاعر الحنق والغضب لدى إعلاميي حلب، والذين هم في الغالب نشطاء إعلاميون غير متخصصين (دخلوا المجال أثناء الثورة) ليقوم فيما بعد «عبد الوهاب ملا» وعدد من أصدقاء السعيد باجتماع سريع لإبداء موقف ما مما يحدث، فاجتمع حوالي ٢٠٠ إعلامي في خطوة مفاجئة للجميع حيث نوقشت ظروف رحيل «السعيد» وطرح اسم تنظيم الدولة لأول مرة خاصة بعد ظهور منشور لإحدى الصفحات التابعة للدولة يقول بأنه «تم كتم انفاس مرتد يعمل لدى قناة العربية».

وقبل ذلك بستة أشهر عكف عدد من الإعلاميين على تأسيس اتحاد يضم الإعلاميين في حلب ليكون نواة لاتحاد شامل في جميع أنحاء سوريا، إلا أن المشروع قيّض له أن يندثر لعدم توافر الإمكانات، الأمر الذي جعل هذا المشروع يعود ليحيى من جديد.

أربعة أيام من موت السعيد قضاها الإعلاميون في حلب بورشة عمل دائمة، خلصت إلى الإعلان عن الاتحاد، الذي لم يلبث أن كوّن لجانه الثلاث (الحريات، التفاوض، التنظيم)، حتى خُطف أحد أعضائه (مؤيد سلوم) مراسل قناة أورينت، تبعهُ فوراً أبرز الداعين لإنشاء الاتحاد (عبد الوهاب ملا)، لينفرط العقد ويصل الاختطاف لـ «أحمد بريمو»، ولؤي أبو الجود مراسل العربية أيضاً، ولتصل تهديدات عدة لكافة أعضاء اللجان التحضرية في الاتحاد.

انفرط عقد الاتحاد ولم يستطع إكمال المسيرة، وتعرض مكتب فريق «جمع» الإعلامي للمداهمة بحثاً عن «رأفت الرفاعي» مراسل قناة أورينت، وخُطف أربعة من مكتب قناة شدا الحرية عرف أنهم أعدموا لاحقاً عقب تحرير مقرات التنظيم من قبل جيش المجاهدين.

فراغ إعلامي سبّبته «الهجرة».. واستهداف متزامن لمقرات إعلامية..

هاجر العشرات من الصحفيين والنشطاء الإعلاميين من الداخل السوري عقب تسارع وتيرة الاختطاف والتصفية، ووصل إلى مدينة «عنتاب» التركية وحدها أكثر من ٥٠ ناشطاً إعلامياً، فضلاً عن الصحفيين المتخصصين.

وتوقفت حركة الصحافة الأجنبية بشكل كامل إلى الداخل السوري، وبات الصحفيون الأجانب يكتفون بالوصول إلى «عنتاب» التركية وفي أحسن الأحوال إلى الحدود السورية التركية ويمارسون عملهم من هناك.

في هذه الأثناء تعرض أكثر من مقر إعلامي لقصف غير مسبوق من قبل طيران الجيش السوري، فمثلاً قصف مقر «مركز حلب الإعلامي» لأول مرة، كما طال قصف شبكة «حلب نيوز» الإخبارية، علماً أنهما لم يتعرضا للقصف قبل ذلك أبداً.

التحرير..

وفي عقب الأحداث الأخيرة التي شهدتها المناطق الشمالية من سوريا، تمكنت الجبهة الإسلامية وجيش المجاهدين، وجبهة ثوارسوريا، من تحرير أجزاء واسعة من المناطق التي يسيطر عليها تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام.

وأدى ذلك بشكل روتيني إلى تحرير الأسرى، فمثلاً حُرر في مقر التنظيم في مدينة حلب لوحدها حوالي ٣٠٠ سجين، بينهم كان الصحفي «أحمد بريمو» و الإعلامي «ميلاد شهابي»، فيما وجدت جثث أربعة إعلاميين وهم إعلاميو قناة شدا الحرية، حيث تم إعدامهم مع ٣٠ آخرين قبل انسحاب التنظيم من المقر.

وبقي مصير العديد من الصحفيين مجهولاً رغم محاولات البحث المكثفة عنهم، مع بقاء احتمال إعدامهم من قبل التنظيم.

في سوريا، لم يجد الصحفيون السوريون وحتى الأجانب مكاناً يستطيعون القيام فيه بعملهم على أكمل وجه، فكل منطقة ولها قوانينها، فإذا قرر الصحفي الدخول إلى المناطق المحررة سيكون مؤدجاً لما تمليه عليه الفصائل المقاتلة، فضلاً عن احتمال تعرضه لسوء من قبل التكفيريين، أما إن استطاع الحصول على تصريح رسمي من وزارة الإعلام، فسيكون ملزماً بالمسير جنباً إلى جنب مع عناصر الجيش السوري أيضاً ومن خلفه وأمامه إيعازات العسكر وما يجب أن يصور وما لا يجب أن يصور.

أطفال تل أبيض، حين انتصر البؤس

الرقة –خليل سليمان

حالة من الفوضى وانعدام المعايير الضابطة للعمل وظروفه على البوابة الحدودية التي تفصل الأراضي السورية عن التركية، في مدينة تل أبيض التابعة لمحافظة الرقة.

يصل عدد الأطفال والشباب متوسطين العمر الذين يعملون على البوابة الحدودية السورية التركية في مدينة تل ابيض ما بين ٥٠ إلى ٦٠ يومياً، غالبيتهم من الأطفال، حسب مسؤولين على المعبر.

تجولنا عند المعبر، سيارات وذاهبون وعائدون واكتظاظ بالبشر والمواد والصراخ.

لاحظنا فعلاً كثرة الأطفال، أطفال يبيعون، يصيحون على بضاعتهم، وآخرون يعملون حمالين على المعبر، وهناك من يبيع سندويشات وأطعمةً{ وهناك من يعمل أي شيء: يقف الطفل أو المراهق، وينتظر من يحتاج مساعدة في نقل شيء أو تسيير أوراق أو أشياء من هذا القبيل، مقابل مبلغ من المال يتفق عليه.

عند سؤال أحد الأطفال، اسمه علي، قال إنه يبلغ من العمر ١٢ عاماً.

قلنا له لماذا أنت هنا، فأجاب بصوت عملي وبلا مبالغات، وكأنه اعتاد هذا النوع من الأسئلة: هذا مصدر رزقي، أنا أعيش من عملي هنا. ستقول لي لماذا لست في المدرسة. المدرسة «ما بتطعمي خبز..».

شرح لنا علي أنه يأتي إلى المعبر منذ الصباح الباكر، وأنه يعمل حتى وقت متأخر جداً من النهار. علي يرعى أسرة مؤلفة من عشرة أشخاص. «أمي مريضة وأبي كذلك. إنه يعاني من أمراض رئوية، لم يجبرني أحد على ترك المدرسة، ظروف الحياة الصعبة هي التي أوصلتني إلى هذا المكان. كنت أرغب فعلاً أنا أكمل تعليمي وأصبح محامياً، كان هذا حلم أمي وحلمي أيضاً..».

يكسب علي يوميا بين ١٥٠٠ إلى ٢٠٠٠ ليرة سورية. يتوقف ذلك على أيام دوام البوابة، لكن العمل مجهد وفوق طاقة طفل في عمر علي.

«بالأخير أنا مجبور.. عندك حل تاني؟».

ابراهيم أيضا طفل يعمل على بوابة المعبر، يتيم الأب، أخبرنا ابراهيم أنه ينبغي أن يكون في الصف الخامس الآن، لكنه تابع: «المدرسه لأهلها.. إذا أنا ما اشتغلت أهلي يشحدو حق الخبز، باليوم اطالع ١٠٠٠ أو ١٥٠٠ أحسن من ألف مدرسة، وراي أيتام بدهم يعيشون، والله بيعوضني بأحسن من المدرسة، الله كريم».

خاص حنطة – أطفال يمارسون مهنة العتالة على البوابة الحدودية – تل أبيض

الأمل المشوب بالقهر والغبن، هذه النفوس الصغيرة التي يطحنها واقع الحرب في سوريا، تحاول جاهدة المقاومة والمواصلة. كل الأطفال انتقدوا أسئلتنا بشكل غير مباشر وبذكاء. دائماً كان السؤال «ألديك حل آخر؟» حاضراً. يتعلم هؤلاء الصغار الواقعية باكراً باكراً، ينسون كيف يحلمون ويتعلمون فقط كيف يصارعون الحياة من أجل اللقمة.

مصطفى يبلغ من العمر ١٠ سنوات، نازح من ريف مدينة حلب، أخبرنا أيضاً أنه لم يذهب للمدرسة منذ عامين.

«بالأول لأنو كنا نقول لا دراسة ولا تدريس حتى يسقط الرئيس، بعدين ما عاد في مدرسة لأنو انقصفت..»، وتابع قائلاً: «هنا نترزق ونكسب المال ونعين أهلنا، لا يمكن التوفيق بين المدرسة والعمل، لذلك أفضّل لقمة الخبز على الدفتر والقلم، التعليم ضروري لكن الحياة لا تستمر بدون أن نأكل».

اسماعيل قصة فريدة أخرى بين حالات أطفال ومراهقي معبر تل أبيض، يبلغ من العمر ١٨ عاماً، اسماعيل يعيل إخوته في غياب الأب والأم. «ليس من الضروري أن يدرس كل أفراد العائلة،أنا أعمل هنا منذ الصباح الباكر حتى المساء. أذهب إلى البيت بعد أن أقوم بشراء بعض الاحتياجات، فنحن عائلة بلا أب ولا أم، لدي أخت أكبر مني وثلاثة إخوة صغار، لذلك أقوم مع مجموعة من أصدقائي بالعمل ليلاً. في الليل نعمل بالتهريب، أحيانا أكسب في اليوم ٥٠٠٠ ليرة وحينها أكون سعيداً.

خالد وحسن ومصطفى، إخوة بأعمار متقاربة. يقول خالد وهو الأخ الأكبر ويبلغ من العمر ١٤ عاماً: «بعد أن تركنا أبي اضطررنا للعمل، نعيل أمي وأختاً تبلغ من العمر ست سنوات». مطصفى الأصغر بين الثلاثة هو الوحيد الذي يذهب إلى المدرسة. «أحيانا» على حد تعبيره، وليس دائماً، فالعمل أهم.

«نبعثه للمدرسة كي لا ينسى القراءة والكتابة، وبمعدل وسطي نكسب يوميا حوالي ٤٠٠٠ ليرة، ذليتنا يا بشار الله لا يوفقك» يقول الأخ الأكبر.

مشهد البوابة الحدودية، وهو يزدحم برجال الضرورة هؤلاء، يعكس صورة مصغرة عن واقع أطفال سوريا اليوم، فوضى وانتهاك مستمر لطفولتهم، يعلق بعض المارين بالمعبر أن كثيرين من الأطفال يمتهنون السرقة أو التهريب، وأنهم يبدون كأنما ليس لديهم أهل، لكن حتى هؤلاء المتذمرون كانوا متعاطفين مع الأطفال، الكل هنا على ما يبدو، يعلم تماما الظروف التي ساقتهم إلى هنا.

التفكير في حلول عاجلة لأطفال سوريا، لا يمكن إلا أن يكون جزءاً رئيسياً من أي خطة دولية لحل النزاع في البلاد،وفي ظل غياب الحكومة السورية المؤقتة عن احتياجات الداخل، وعدم وجود أي جهة ترعى هؤلاء الأطفال وتتولى أمر إعادتهم إلى شرط الحد الأدنى للطفل من مسكن ومأكل وتعليم لائق وحماية، لا يبدو أبداً أن شيئاً من هذا قريب، لكن أقل الممكن أن لا يسكت إعلام الثورة عن قضيتهم، وأن تستمر الأصوات ترصد وتتابع وتنادي، علّ في جنيف، أو غيرها، من يسمع..

الدعم النفسي للأطفال بعد الصدمات «الأزمات»

هيفين الإدلبي

الأزمة هي حالة غير معتادة، معزولة عما سبقها من تجارب، وينتج عنها ردود فعل طبيعية غريزية تتجلى بـ (الخوف- القلق- الانطواء- الاكتئاب- الحزن الشديد..)، ورد الفعل الناتج عن الأزمات: هو استجابة طبيعية لحدث غير طبيعي.

وللأزمات أنواع منها من عمل الإنسان «حرب- حوادث سير..» ومنها ما هو من عمل الطبيعة «زلزال، عاصفة، طوفان، حريق، جائحة مرضية»، بينما تنقسم الارتكاسات الطبيعية للحوادث غير الطبيعية إلى أربعة تصنيفات:

١-انفعالية: وتشمل «الحزن، الغضب، اليأس، العجز، الإنكار، الخدر الشعوري، القلق، الهلع».

٢-استعرافية: وتشمل «ضعف التركيز، ضعف الذاكرة، عدم التصديق، التخوف، صعوبة اتخاذ القرارات».

٣-جسدية:وتشمل «التعب، الأرق، الصداع، فرط اليقظة والتنبه، الأعراض القلبية الوعائية، المخاوف الصحية».

٤-اجتماعية: وتشمل «الانسحاب اجتماعي، الشعور بالرفض من قبل الآخرين، توتر العلاقات مع الآخرين، الشعور بعدم اهتمام الآخرين، تدهور الأداء، فرط الحماية».

التدبير النفسي الاجتماعي للأزمة:

١-تأمين الاحتياجات الأساسية «مأوى، طعام، نقل، صحة، اتصالات».

٢-الخدمات الإنسانية: «رعاية الأطفال، تجميع الأسر».

٣-توزيع المعلومات.

٤-دعم الصمود الفردي والجماعي.

٥-البحث عن العواقب النفسية.

٦-معالجة الآثار الآنية والمديدة للكرب.

إعادة تنظيم الحياة بعد الأزمة:

١-استعادة الأمان «استعادة حس الأمان، تأمين المأوى والمأكل، بناء علاقة ثقة».

٢-التأقلم مع الكرب «ذكريات، حداد، تفهم، إرشاد، مواجهة الكرب».

٣-عودة الحياة المعتادة «استعادة المقدرة على الفعل، التكامل مع الحياة اليومية، تكامل الكرب مع التاريخ الشخصي».

الأطفال في ظل الأزمات:

ينمو كثير من الأطفال في معظم أنحاء العالم، مع الأسف، في جو من العنف والإرهاب والنزاعات العسكرية.

ولا شك أن تدور في أذهانهم الكثير من الأسئلة الملحة حول الأزمات التي نواجهها، مثل الحروب وأسباب النزاعات وموقف الإنسان منها. ويمكن لهذه الأسئلة والأفكار أن تؤثر كثيراً على نمو الأطفال وفهمهم لأنفسهم ولغيرهم وللعالم من حولهم.

ولا غرابة أن يسأل الأطفال في وقت الحروب أسئلة معقدة وصعبة، ويتعقد الموقف أكثر في هذا الوقت، إذ تعج وسائل الإعلام صباح مساء بأخبار هذه النزاعات والحروب، مع نقل الصور الفورية، والأصح أن وسائل الإعلام هذه تنقلنا و أبناءنا إلى موقع الحدث أو الانفجار أو القتل.

ومما يقلق الآباء والمعلمين والمربين، هو كيفية حماية صغارهم من التأثيرات الضارة لكل هذه الأحداث، فنجد الآباء يسألون عن الطريقة المثلى للتعامل مع الأبناء والصغار في هذه الظروف الصعبة، وعن المعلومات التي يفيد إطلاعهم عليها.

كيف يتفاعل الأطفال مع الأزمات؟

تختلف ردود أفعال الصغار على أخبار الحروب والنزاعات والصور المرافقة لها، بسبب عوامل كثيرة مثل: عمر الطفل وشخصيته والتجارب التي مر بها في حياته، وعلاقته بمن حوله، كالوالدين وغيرهما، وأكثر ما يزعج الأطفال الصغار قبل المرحلة المدرسية هي المناظر المرعبة والمؤلمة، وكذلك أصوات الدويّ والانفجارات.

وليس مُستغرباً أن يخلط أطفال هذه السن بين الحقيقة وبين خيالاتهم، وفي تقديرهم لحجم الأخطار والأذى الذي قد يلحق بهم أو بغيرهم.

ومن السهل أن تسيطر مشاعر الخوف والقلق على هؤلاء الأطفال، فيصعب عليهم إدراك حقيقة الأمر، وإبعاد الأفكار المخيفة عن أذهانهم.

وبينما يمكن لأطفال المرحلة المدرسية التفريق بين الحقيقة والخيال، يصعب عليهم في بعض الأوقات الفصل بينهما، فقد يخلط الطفل بين مشهد من فيلم مخيف وبين منظر من مناظر الأخبار، مما يدفعه إلى المبالغة في حقيقة الأخبار.

قد لا ينتبه الطفل إلى أن بعض المشاهد الإخبارية يعاد عرضها مرات ومرات، ولا يدرك أنها تتكرر من جديد. وبسبب وضوح الصور المنقولة، فقد يشعر الطفل أن الحدث قريب منه كثيراً، وربما في الشارع الذي يسكنه.

أما أطفال المرحلة الإعدادية وشباب الثانوية فنجدهم أكثر اهتماماً بالنقاشات المتعلقة بحالة الأزمة الحالية.

ويمكن لشخصية الطفل وطبيعته المزاجية أن تؤثر كذلك في تفاعله مع الحدث.

فبعض الأطفال أكثر عرضة للخوف والقلق بسبب طبيعتهم النفسية، بالتالي يحرك عندهم الخبر الخطِر مشاعر الخوف والاضطراب.

ولا ننسى أن الأطفال يتفاوتون كذلك في طبيعة علاقتهم مع الأزمات الواقعة وخاصة الحرب أو النزاع، فقد يكون لبعضهم أقارب أو أناس من نفس الجنسية أو الهوية أو الديانة لهم تدخل مباشر في الحرب أو القتال الدائر، ولا شك أن هؤلاء الأطفال أكثر عرضة للتأثر بالأحداث الدائرة.

وقد يميل الأطفال الكبار إلى ربط أخبار الحرب أو القتال بأمورهم وظروفهم الشخصية، وكأنها تتعلق بهم مباشرة.

ومن أكثر ما يشغل ذهن الأطفال الصغار الخوف من الافتراق عن الوالدين، ومفهوم الخير والشر، والخوف من العقاب، وقد يسأل الطفل الصغير فيما إذا كان سلوكه حسنا أو سيئا، معتقداً أن الحرب قد وقعت على الأطفال الذين يشاهدهم في الأخبار بسبب أن سلوكهم مع والديهم لم يكن حسناً، لذلك فالحرب عقاب لهم.

ومن المؤشرات القوية لتأثر الأطفال بالحرب والقتال:

- تراجع الطفل أو نكوصه إلى سلوك طفولي كان قد نما وتجاوزه في مرحلة من مراحل عمره السابقة، مثال الخوف من النوم منفرداً، والتبول اللاإرادي، ومص الإصبع وغيرها من تصرفات تميّز من هم أصغر منه سناً.
- التعلق الزائد بأحد والديه أو كليهما، وقلقه إذا ابتعد عنهما ولو لوقت قصير.
- الانطواء الشديد الذي لا ينسجم مع طبيعة

نفسيته السابقة.

– اضطراب النوم والكوابيس الليلية.

– التعلق الوسواسي القهري بأمور الحرب كتكرار الأسئلة المتعلقة بهذه الحرب.

– الخوف من أمور لم يكن يخافها من قبل كالظلمة والليل.

– السلوك العدواني من الضرب والاعتداء على الأشقاء أو غيرهم

ما التأثير النفسي لتلك الأزمات العنيفة على الأطفال؟

الأطفال أكثر تضرراً لعدم قدرتهم على فهم ما يدور حولهم، وتشمل الآثار النفسية للتعرض للأزمات والحروب والكوارث عددا من الأعراض الفزع الليلي والمعاناة من القلق، (الفوبيا) أو (الخوف المرضي) من الأصوات أو الظلام أو غيرها من مصادر الخوف لدي الأطفال، والانتكاسة في بعض المهارات التي تم اكتسابها، فيظهر التبول اللا إرادي، وعدم القدرة علي التواجد بمفرده، إضافة إلى ظهور بعض الاضطرابات السلوكية مثل قضم الأظافر والكذب والعنف في التعامل مع الأشياء والأشخاص، وظهور مشكلات في الكلام كالتلعثم أو الصوت الخافت.

الأطفال اللذين تعرضوا لانتهاكات الحرب في سوريا ولبنان وفلسطين و.. إلخ، بشكل مباشر أو غير مباشر من خلال قصف منازلهم، أو هدمها، أو اعتقال، أو قتل ذويهم، أو بشكل غير مباشر من خلال مشاهدتهم لانتهاكات الحرب من خلال التلفاز، غالباً يكثر لديهم ميل شديد للعنف، وتغير عام في المزاج، وفقدان للشهية، والشعور بعدم الاستقرار واضطرابات النوم والقلق والكآبة والحزن والخوف وعدم المبادرة والتردد، وتشتت الذهن وضعف الذاكرة خاصة تلك الأمور المتعلقة بالدراسة والمدرسة.

غالباً ما تسوء حالة الطفل النفسية في ظل ظروف الحرب لعدم إدراك ذويه لما يعانيه، فهو يعبر عن معاناته بطريقة تستفز الكبار، خاصة من ليس لديهم المعرفة الكافية عن الطفولة ومشكلاتها واحتياجاتها، والأغلب أن يعامل الطفل كفرد عادي، ولكن في الحقيقة يجب أن يعامل بشكل خاص وبأكثر أهمية من الآخرين لأنه في أمس الحاجة للشعور بالأمان والاستقرار في ظل الخوف مما يحدث حوله، وأيضاً الطفل بطبيعته يستمد الشعور بالأمن والأمان ممن هم

طفل سوري حوّل العصا إلى بندقية – عدسة جمال حسون

أكبر منه، وما يحدث مع الطفل من قلق وخوف ما هو إلا انعكاس خوف وقلق الكبار حوله مما يحدث، لذلك يُنصح ذوو الأطفال زيادة اهتمامهم ورعايتهم للأطفال في ظل الحروب وقدر الإمكان مساعدة الأطفال لتخطي أزمة العنف وصدمة الانتهاكات وإشعارهم بالأمن وإخفاء مشاعر القلق والخوف قدر المستطاع، وهذا لن يحتاج الكثير من ذويهم والعاملين على صحتهم ورعايتهم وتعليمهم، وهذا ما نحتاج أن نمارسه مع أطفال الكوارث والأزمات، من توعية لذويهم بطبيعة نفسية الطفل في ظل الأزمة، وكيف يتعاملون معها، وبناء برامج دعم نفسي تساعدهم على فهم الطفل وسلوكياته بشكل أفضل.

كيفية التحدث مع الأبناء عن الحروب والأزمات الأخرى:

ثمة معتقد خاطئ عند الناس مفاده أن الحديث عن الحرب أو القتال أو أي أزمة أخرى مع الأطفال من شأنه أن يزيد لديهم المخاوف والقلق، ولكن العكس هو الصحيح، و إن كان الأمر يتوقف ولحد كبير على طريقة الحديث والحوار معهم والأخطر من الحديث المباشر والصريح هو أن يحتفظ الطفل بمخاوفه الخاصة التي لا يتحدث عنها مع غيره.

وكما هو الحال مع المواضيع الأخرى في الحياة، يجب الانتباه للمراحل العمرية المختلفة ولمرحلة نمو الطفل و مدى فهمه واستيعابه للأمور

وبالرغم من أن الأطفال الصغار وحتى الذين في الرابعة أو الخامسة من العمر يمكن أن يدركوا طبيعة أعمال العنف، إلا أنه ليس بالضرورة أن يعرف كلهم كيفية الحديث عما يشغلهم ويقلقهم، ولذلك فقد يحتاج الأهل أحياناً أن يبدؤوا هم بالحديث مع أبنائهم عن مشاعرهم اتجاه هذه الأحداث، مما يسهل على الأطفال الانفتاح والحديث عما بداخلهم أيضاً.

ويمكن أن يبدأ الوالدان بسؤال الطفل عما يمكن أن يكون قد سمع من أخبار أو عن رأيه فيما يجري من أحداث.

وعلى الأهل أن يمسكوا أنفسهم عن محاولات إلقاء المحاضرات على الأطفال حتى يتعرفوا أولاً على الأمور المهمة التي تشغل بالهم، فقد تكون غير ما يتوقعه الأهل.

ويمكن الاستفادة من بعض الظروف الطبيعية ومنها مثلاً عندما يشاهد الجميع نشرة الأخبار، أو عندما تحدث بعض الأمور كظهور المناقشات على شاشة التلفاز، أو عند جمع التبرعات لصالح ضحايا تلك الأزمات.

وليس من الطبيعي أن يكون النقاش في هذه المواضيع المشحونة بالعواطف في جلسة واحدة، ولكن لا بد من زيارة الموضوع كلما دعت الحاجة وقد تستجد بين الحين والآخر قضايا وتفاصيل جديدة تستدعي الحديث مجدداً.

وعلى الأهل احترام رغبة الطفل إن لم يُرد الحديث في الموضوع في بعض الأوقات عندما لا يكون مرتاحاً للأمر.

وعلى الأبوين الانتباه لبعض المؤشرات الكلامية وغير الكلامية التي ترافق حديث الأطفال، ومنها:

– تعبيرات وجه الطفل.

– حركات جسم الطفل وما يحاول التعبير عنه.

– سلوك الطفل في الليل.

– طبقة صوت الطفل.

طفلة سورية من ريف إدلب – عدسة جمال حسون

–التعابير والكلمات التي يستعملها الطفل للتعبيرعما في نفسه.

دور الأهل في المساندة النفسية للطفل:

إن دور المنشطين والمتطوعين والمتخصصين لن يكون جدياً بدون مساعدة ذوي الأطفال وتوعيتهم بمخاطر الصدمات على شخصيات أبنائهم، ومدهم بآليات التعامل السليمة مع الأطفال في ظل الأزمات.

على المتطوعين في فرق الكوارث وإدارة الأزمات توعية الأهل بدورهم خلال الأزمات مع الأطفال، وإمداد الأهل بمجموعة اعتبارات وإرشادات تساعد المتطوعين في عملهم مع الأطفال للمساندة النفسية من صدمات الكوارث حيث أن هناك مجموعة من الاعتبارات والسلوكيات يجب على الأهل أخذها بعين الاعتبار عند التعامل مع الطفل، وذلك لتكون مساندة نفسية ناجحة مع أطفالهم وسنوردها فيما يلي:

ملاحظة سلوك الطفل الطارئ:

يتم ذلك عبر متابعة الأهل لسلوك الطفل وهي أول خطوة مهمة في عملية الدعم النفسي، فإن طرأ على الطفل سلوك غريب لم يتعودوا عليه فيجب أخذه بعين الاعتبار وتفهمه وعرض الأهل تلك الملاحظات على الاختصاصيين.

الحوار:

على الأهل إتاحة الفرصة للطفل للتحدث عن مشاكله واحتياجاته، فهذا يخفف من معاناة الأطفال، لذلك يجب عدم ترك الطفل يغوص في أحزانه وحيداً.

وتشجيع الطفل بالتحدث عن تجاربه فور حصولها وبعد حصولها وخاصة إذا لاحظت أنه ينطوي على نفسه على غير عادته.

مع ملاحظة عدم أرغام الطفل على التحدث عما يزعجه أذا كان رافضاً الحديث، وفي تلك الأثناء علينا تشجيعه أن يعبر بالرسم أو وصف ما حدث من خلال دور يجب أن يقوم به عادة أثناء اللعب.

المرونة:

على الأهل أن يؤمنوا بأن الطفل قادراً على خلق جو أفضل، إما بأنفسهم وإما بالتعاون مع الأخرين ويكفي الأطفال أن يبدي الكبار استعداداً لأن يقاوموا الظروف القائمة ويوفروا لهم ظروفاً أفضل.

الوضوح والتفهم:

أحياناً لا يكفي الاستماع إلى الطفل وطمأنته، ومن الأهمية بمكان أن نعطيه الفرصة للإفصاح عن شعوره بالألم والحزن والغضب، أيضاً علينا أن لا ندعه يحس بالخجل إذا أو أظهر حزنه، فالحزن ليس دليلاً على الضعف.

التعامل مع نوبات الغضب:

كثير ما يخاف الأطفال إرشادات الكبار وكثيراً أيضاً ما يتصرفون بعدوانية زائدة، لانعدام الفرص للتعبير عن أنفسهم بأشكال أخرى، فالأطفال في أمس الحاجة إلى الفعاليات والنشاطات التي تشكل متنفساً لطاقاتهم وتشعرهم بأنهم قادرون على الحكم وقيادة أنفسهم وقادرون على السيطرة على محيطهم، وأحياناً يفضل أن نترك الطفل يعبر عن مشاعر الغضب دون أن ندعه يحس أنه يقترف ذنباً يستدعي الخجل أو الندم ويمكن بعدها التحدث معه حول سبب هذا الغضب.

التعامل مع انزواء الأطفال:

علينا أن نحث الطفل المنطوي على نفسه للمشاركة في نشاطات مختلفة وندربه كما ندرب الصغير على المشي، وعلينا ألا نفاجأ من وثيرة التحسن في حالة الطفل، كما لا ننسى أن الطفل له رغبته في التعاون معنا إلا أنه لا يستطيع تنفيذ هذه الرغبة لذلك.

يجب علينا اتباع التالي:

أن نحكي للطفل حكايات الحيوانات الخجولة والتي تسترجع ثقتها بنفسها تدريجيا.

أن نوفر للطفل فرص النجاح في علاقته ولعبه مع الأطفال الأخرين، بحيث يبدي الجميع سرورهم وفرحتهم لنجاحه.

أن نطلب منه القيام بتمثيل دور شخصية خرافية تكون منطوية على نفسها، وخائفة في البداية ومن ثم تتحول إلى شخصية جريئة وشجاعة ومشاركة.

مهمة الأمهات:

اشغلي ابنك بالتفكير في ألعابه وشاركيه فيها، لاحظي كل تصرف غريب يبدو عليه، وناقشيه فيه بطريقة بسيطة، واحذري البكاء أو الانهيار أمام طفلك، فهذا يشعره بالعجز، واجعلي ابنك يتحدث كثيراً، بحيث يقول كل ما يدور في ذهنه وتصححيه له، ولا توقفي حديثه مهما بدا سخيفاً أو أسئلته مكررة، كذلك انتهزي هذه الفرصة لتنمية الوازع الديني، أما الأطفال في سن أكبر فلابد من مشاركتهم في الفعل، فمثلاً يمكن أن يساهموا في تنظيف الشوارع أو نشاط في جمعية من الجمعيات الخيرية أو الشبابية.. وأخيرا أظهري لابنك بطريقة غير مباشرة وجود كل السلع التموينية وكل ما يحبه داخل المنزل، فكثير من الأطفال يقلق من احتمال غياب الحليب الذي يحبه.

نصائح بسيطة ومهمة في جلسة الحديث مع أبنائك:

استمع واستمع، واستمع من جديد لما يقوله أبنائك، وأظهر احترامك لأبنائك حتى لو لم توافقهم على ما يقولون، حيث يمكن الرد على أحدهم: أنا أحترم رأيك هذا، أو حاول قدر الإمكان النظر في عيني طفلك أثناء الحوار.

تصيّد الظروف المناسبة لشرح بعض الأفكار الأساسية:

قل الحقيقة، إذ يتعلم الأبناء بمراقبة الآخرين، فكن قدوة حسنة لهم، واقض مع أبنائك وقتاً مشتركاً وحراً من دون قيود أو تعليمات. أظهرأنك مهتم حقا بأبنائك. حاول ألا تنتقدهم بكثيرة، أعط أبنائك كل انتباهك وتركيزك، وتذكر أنك تتحاور مع أبنائك بالكلمات والتعابير والحركات جميعاً.

ذكر كل أبنائك بأن لهم مكاناً خاصاً عندك، وشجع أبناءك على الحديث عن مشاعرهم..

أنا منشق .. إذاً أنا موجود

غياث عبدالعزيز

مع بداية الثورة السورية، وما شهدته من متغيرات عدة على مختلف الأصعدة العسكرية والميدانية والإنسانية، انتشرت في صفوف المؤسسة العسكرية السورية ما سميت بظاهرة الانشقاق.. بدأت هذه الظاهرة على نطاق ضيق مع بدء الثورة السورية كحالات فردية، في قطع عسكرية تتموضع في مناطق جغرافية محددة من الأراضي السورية، ثم ما لبثت أن اتسعت لتشمل ضباطاً من مختلف الرتب والمراكز ومن مختلف الانتماءات الطائفية والجغرافية.

لا يمكن أن تنسب مثل هذه الظاهرة إلى شخص بعينه أو مجموعة من الأشخاص، لكن لا بد من ذكر اسم وليد القشعمي، أول جندي سوري أعلن انشقاقه عن قوات النظام السوري بتاريخ ٢٠١١/٤/١١، أي بعد مرور أقل من شهر على بدء الثورة السورية فاتحاً بذلك الباب للعديد من الجنود بعده لتتوالى الانشقاقات حتى تم تسجيل حوالي ٢٢ الف حالة انشقاق بين الجنود، مع نهاية العام ٢٠١١، بحسب دفاتر السجلات العسكرية السورية، وارتفع العدد إلى ما يقارب ٦٤ ألفا مع نهاية العام ٢٠١٢ (ونتحدث هنا عن الجنود فقط لا عن الضباط).

وليد القشعمي ابن مدينة درعا غادر البلاد سراً في رحلة طويلة وشاقة إلى القاهرة، لكنها كما قال كانت بالنسبة له أهون من قتل أبناء بلده العزل بأوامر من ضباط الجيش النظامي.

فراري:

حتى الآن ينكر النظام حدوث انشقاقات هامة في صفوف الجيش، ويصر على تسمية المنشقين بلقب (فراري)، ويؤكد ان هذه الحالات فردية ولا تشكل شيئاً بالنسبة لقوام الجيش السوري، ويعكف على التأكيد أن هذه الحالات أساسها طائفي أو تحدث بسبب إغراءات مادية يتعرض لها الجنود الفارون من الخدمة.

ويلجأ الأفراد الموالون للأسد في صفوف الجيش السوري إلى منع الانشقاقات بوسائل متعددة من تهديد بالقتل إلى تهديد باعتقال أهل وذوي المنشقين والتضييق عليهم، ومنذ بداية الانشقاقات في صفوف الجيش تم سحب كافة الهويات العسكرية من جميع الجنود الذين يؤدون الخدمة الإلزامية تصعيباً لمرورهم على الحواجز العسكرية في حال انشقاقهم، حيث جردوا من كافة الإثباتات الشخصية ومنعت عنهم الإجازات حتى الساعية منها.

الشهيد الملازم اول أمجد الحميد

وللضباط حصة:

يقول النقيب رياض الأحمد ابن محافظة اللاذقية وهو من أوائل الضباط المنشقين عن الجيش السوري (أعلن انشقاقه بتاريخ ١٦/حزيران ٢٠١١) وهو سابقاً من مرتبات الفوج ٤٥ قوات خاصة، يقول في تسجيل مصور يعلن به انشقاقه: «**كلفنا بمهمة النزول إلى مدينة بانياس وكانت المعلومات التي وردتنا من القيادة تفيد بوجود تشكيل مسلح يضم عرباً سعوديين ولبنانيين وأردنيين وخبراء إسرائيليين وضباطاً مصرياً كبيراً برتبة لواء هدفهم زعزعة استقرار المدينة والاعتداء على الأهالي والسيادة الوطنية. دخلنا المدينة ولم نجد عنصراً مسلحاً واحداً لتصلنا الأوامر فيما بعد بإطلاق النار على أية تظاهرة تشهدها المدينة وذلك كان سبب انشقاقي مع عدد من جنودي**».

وقد أرجع المتحدث باسم «**المجلس العسكري للجيش السوري الحر**» الرائد ماهرالنعيمي سبب الانشقاق في المناطق الساخنة إلى إعطاء الأوامر للجيش بقتل المدنيين العزل.

وقال النعيمي: «**في كل مواجهة مع المتظاهرين يزج الجيش بها، فإن قسمًا من الضباط والجنود يرفض تنفيذ الأوامر ويقوم بالانشقاق**».

وأردف النعيمي «**عمليات الفرار والانشقاق لم تقتصر على الضباط والجنود السنة، فهناك ضابط علوي أعلن انشقاقه منذ أشهر، وكذلك جنود ورقباء علويون، ولكن لم يلتحق هؤلاء بنا، وربما آثروا عدم القتال وفروا إلى مناطقهم وقراهم واختبأوا فيها**».

وتجدر الإشارة إلى أن حالات الإنشقاق امتدت لتشمل ضابطات أيضاً منذ إعلان العقيد «**زبيدة الميقي**» انشقاقها عن صفوف الجيش في ١٠ تشرين الأول(أكتوبر) ٢٠١٢.

احتياط – احتفاظ – إلزامي:

بحسب دفاتر السجلات العسكرية فإن آخر دورة سحب إجباري في الجيش السوري قبل الأزمة بتاريخ ٢٠١٠/٥/١ كانت الدورة /١٠٢/ التي اعتبرت الأضخم في تاريخ الجيش السوري منذ تأسيسه حيث بلغ تعدادها /٩٠/ ألف عسكري سرح منهم حتى تاريخ ٢٠١٢/١/١ حوالي /١٣/ الف هم المستفيدين من التدريب الجامعي العسكري واحتفظ بالباقي حتى تاريخه.. عدد المنشقين من هذه الدورة كان الأكبر في صفوف الجيش بسبب ضخامة تعدادها ولطول فترة خدمتهم التي تجاوزت الثلاث سنوات. الدورة /١٠٣/ ضمت أقل من /٢٠/ الف عسكري والدورة /١٠٤/ ضمت ربع هذا العدد بسبب عدم التحاق أغلبية المكلفين بالخدمة وخاصة في المناطق الساخنة والمحررة ما دفع بالنظام لفرض الخدمة الاحتياطية التي لقيت التجاوب الأكبرعند غالبية أبناء الطائفة العلوية وأقول غالبية وليس جميعهم بالإضافة إلى نسبة محدودة من السنة والدروز وعن ذلك يقول (س. د) الرقيب الاحتياطي من مدينة جبلة: «نادراً ما نجد علوياً تخلف عن الخدمة الإلزامية أو الاحتياطية، وهناك ضغط اجتماعي كبير من قبل

الأهل والكبار في القرى تجاه من يتخلف عن الخدمة».

وعن قرى الساحل السوري، التي يشكل العلويون غالبية سكانها، يقول المقدم المنشق تيسير ديب: «**إن الخوف يمنع هذه القرى من المشاركة بالثورة والانضمام إلى المظاهرات المطالبة بالحرية، النظام يريد لهذه القرى أن تبقى محسوبة عليه**»، وجزم الضابط المنشق بأن «هناك العديد من أهالي هذه القرى على استعداد للمشاركة بالحراك الثوري، لكن الخوف يمنعهم». وينحدر المقدم تيسير ديب من مدينة القرداحة مسقط رأس الرئيس السوري، ولا يعد انشقاقه الأول من نوعه داخل صفوف الطائفة العلوية التي ينتمي إليها الرئيس بشار الأسد، حيث تم الإعلان عن تشكيل كتيبة «الأحرار العلويين» في بداية شهر مارس (آذار) من العام ٢٠١٢، والتي تضم العديد من الضباط والجنود العلويين، وعلى رأسهم النقيب صالح حبيبي صالح.. لكن المقدم ديب يعد أعلى المنشقين رتبة حتى الآن من الطائفة العلوية.

أخيراً، نجد أن ظاهرة الانشقاق بغض النظر عن خلفيتها سواءً كانت مبدئية أو طائفية أو بسبب الخوف هي ظاهرة لم تعد بالأمر الجديد أو الملفت للنظر بقدر ما أصبحت حالةً شبه يومية في كافة القطع والوحدات العسكرية السورية في ظل الجرائم المستمرة من قبل النظام السوري بحق شعبه، وفي ظل الخوف من المعارك وعدم الاستقرار لدى العديد من الجنود داخل المؤسسة العسكرية وعدم رضى الغالبية عن المهام التي توكل لهم إضافة إلى تحول الجيش إلى مؤسسة للسرقة والخطف عند غالبية الضباط والمسؤولين عن هذه المؤسسة.

من ذاكرة أبو محمود الطنبرجي–قصة حقيقية

كيف أصبحت غشيماً(غبياً)

مأمون الجعبري

في تلك القرية الصغيرة كانت تسكن عائلة تلقب بآل الغشيم، ولم تكن حقيقة ذاك اللقب مجرد تهكم بل، ارتبط اللقب بالعائلة نظراً لفقرهم العقلي، وكثيراً ما روت عنهم القرية عشرات الحكايات المضحكة. ومن ضمنها أنه في يوم اشترى أحد أفراد العائلة سيارة ذات عجلات ثلاثة، وكانت رخيصة الثمن، وفي المشوار الأول له إلى المدينة عاد مساءً بباص القرية وفي الباص سأله أحدهم عن سر المفتاح الذي يحمله فتذكر حينها أنه أركن سيارته في السوق ونسيها.

مما جعلهم أفقر أبناء القرية مادياً، وهذا الوضع المزري لتلك العائلة كان يشعل في صدورها حقدا كامنا لا ينطفئ. وذات يوم في أوائل الثمانينيات من القرن الماضي، اشتعلت المدينة بأحداث جسيمة، على أثرها توفي الأب لوجوده صدفة في أحد الاشتباكات، ومنح حينها لقب الشهيد، وكانت تلك نقطة التحول الرئيسية في مستقبل تلك العائلة، حيث أن الابن الأكبر كان قد حصل على الشهادة الثانوية بأسوأ العلامات، وكان اسمه أحمد الغشيم، وكتعويض له عن وفات أبيه، أعطي أحمد الغشيم علامات إضافية سمحت له بدخول فرع الهندسة المدنية، وكان هذا التخصص عصيا على مقدراته، ولكنه أدرك مبكرا الطريقة التي تجعله يتجاوز غباءه العلمي، فعمل مخبرا على أصدقائه وأساتذته في الجامعة، وذاع صيته، واتقاء لشره من جهة المدرسين ومكافأة له من جهة الأمن، تجاوز أحمد الغشيم السنوات الخمسة، وأصبح مهندسا في إحدى شركات الدولة، وابتسم له القدر، وحدث حريق صغير في تلك الشركة تلوث على أثرها حذاء المدير العام، وكان من بيت الوحش (المعدل لاحقاً)، فما كان من أحمد الا أن انحنى ومسح الحذاء، فقال له ذاك الوحش ستبقى كلبا، ولكنه أصبح ذا حظوة عنده، وتسلم منصبا مهماً، وحينها كان صديقكم أبو محمود الطنبرجي ابن قرية أحمد الغشيم (سابقا، لأنه غير اسمه إلى أحمد المظلوم) قد فصل من ذات الشركة لأسباب أمنية، فاقترح فاعلو الخير عليّ أن أذهب لأحمد المظلوم وأستعطفه علّه يستخدم حظوته، فرفضت رفضا قاطعا، وحينها خلعوا لقب الغشيم عن أحمد وألصق بي، لأصبح أبو محمود الغشيم.

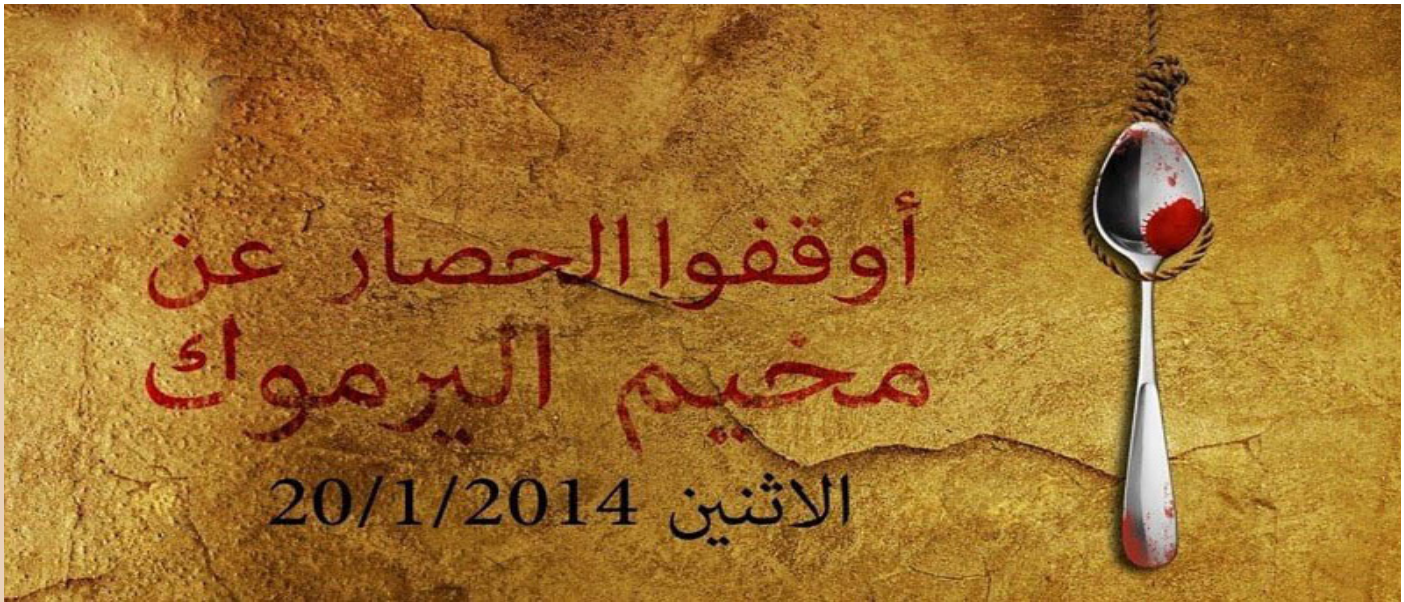

فداء الحوراني على بيدر حنطة

لقاء: ناجي الجرف

مذبحة الـ ٨٢ جعلت من حماه أكثر وعياً للمجزرة – حماه مدينةٌ حملت آلامها «ع الساكت» منذ ١٩٨٢– الثورة في حماه خرجت من أكثر الأحياء فقراً

د.فداء حوراني – خاص حنطة

يقول البعض إن النظام «احتلال»؛ أي ليس من أصناف الحكم.. ما رأيك؟

الاحتلال لهُ حدود، فمثلاً في أيام الفرنسيين كما تروي لنا الوالدة، كانت تخرج المظاهرات من الجامع الأموي، وكانوا يعودون بالجرحى إلى الجامع نفسه، لم يكن الفرنسيون يجرؤون على الاقتراب من المسجد على اعتباره مكاناً مقدّساً، الوضع الآن لا تفسير له، أنت تفهم أن يفعل عدوك بك ما يفعل، أمّا ما يحدث الآن فلا نجد له تفسيرا.

حماه جرّبت أن تكون مثالاً خالصاً عن السلمية.. أودّ سؤالك عن حماه وبالأخص الفترة الأولى من الثورة ومشفى «الحوراني» والحصار والمجازر، ماذا تذكرين من تلك الفترة؟

لربما تختزن حماه كلّ آلام مذبحة الـ ١٩٨٢ التي يقال إنها كانت ضد الطليعة المقاتلة (الجناح العسكري للإخوان آنذاك) الحقيقة الأكيدة أنها لم تكن ضد الطليعة، بل كانت ضد البلد نفسه، لأن حماه نفسها لها ميزات لا تحملها المدن السورية الأخرى، فقد لعبت دوراً في القضايا العربية، من خلال الرموز أو الأشخاص، أما كمدينةٍ أو كشعب فقد لعبت أدواراً مهمة في السياسة السورية .

وفزعة حماه كانت لكلّ القضايا، أي أنه لا يمكن إلا أن تلاحظ وجهة نظرٍ جديدة سواءٌ كانت معك أم ضدك من السيدات والرجال على حدٍ سواء، الجميع لهم موقف ما، ويبدو أن ذلك كان محظوراً، فكان أن «ربّى» النظام سوريا بحماه.

وبالتأكيد مازال الحمويون يختزنون هذا الشعور، فكانت المظاهرات تعبيراً عن رفض كامل للنزاع من جهة، ومن جهة أخرى «السلْمية» فقد شعروا بالسبب الحقيقي وهو العنف، الذي كان وراء عدم تغطية مذبحتهم في الثمانينات، فأصرّوا على السلمية الحقيقية.

لكننا لم نكن على مستوى تقدير ما سيحدث، رغم أننا كنا نعرف مذابح حماه سابقاً، إلا أن أحداً لم يتوقع أن يعاملونا بهذه الهمجية وأن يسكت العالم لـ ثلاث سنوات، وبنفس الحجة السابقة وهي «العنف والإرهاب».

«سوريا مفتاح المنطقة» كان الأهل يقولونها ولم نكن نعي ذلك، الآن نعي أن نجاح الثورة السورية يعني فيما يعنيه تغير وجه المنطقة كلها، ليس فقط العربي، بل من إيران إلى إسرائيل، وهذا هو جوهر السبب في تعقيد القضية السورية.

تكلّمنا عن «فداء الحوراني» السياسية، نودّ الحديث عن مشفى «الحوراني» وما شهدهُ من حالات الجرحى المتظاهرين والمصابين..

لم يحدث في المشفى لدينا إلا حالة أو اثنتان تم أخذهم من العمليات، وكان الأمن السوري يأتي لأخذ الجرحى كان الأهالي حول المشفى يضربون طوقاً، فكنا نقول لهم: «تريدون الجرحى.. تفضلوا وخذوهم إن استطعتم»، كانت حماه كلها مستنفرةً على أبنائها وأولادها، وأذكر في جمعة «أطفال الحرية» مشهداً لن أنساه في حياتي، حيث كان هناك ستةً وثلاثون شهيداً وكانت الدماء في كل مكان ووصلت إلى أبواب المشفى، ساهم الناس بشكل كبير في المساعدة فمنهم من أتى بـ مناشف ومنهم من أتى بشراشف قديمة وأدوية، كان هناك تعاطف وتكاتف كبيران.

يعد مشفى «الحوراني» في حماه أشهر مشفى في سوريا.. بسبب الحماية الشعبية له.. هل ذلك بسبب اسم فداء الحوراني؟

لا أعلم ولكن ربما بسبب الإعلام.. هناك الكثير من المشافي لم تحز على نفس التغطية الإعلامية، وبالنسبة لي فأنا أحبّ أهالي حماه، مع أني لم أعش فيها فقدت ولدت في دمشق وغادرت إلى العراق فيما بعد، وعدت وأنا أكبر عمراً. أنتمي لحماه من منطلق الشعور بالظلم، فحماه مدينة ظُلمت، وأنا مصممة «إنسانياً» أن أبقى متعاطفة معها، مدينة حملت آلامها «ع الساكت» منذ ١٩٨٢.

ربما تحمل حماه طابعاً خاصاً بها.. ما الذي يميزها؟

يختلف وضع حماه عن باقي المدن، أنا دخلتها عام ١٩٩١ وكان قد بدأ وقتها الإفراج عن بعض شبابها، كان الأهالي يتحضرون وينتظرونهم على

مدخل المدينة، كانوا ينتظرون عسى أن تمر تلك الحافلات التي تحملهم، وطائفياً يمكنني القول إن حماه رغم المذبحة إلا أنها كانت أكثر تفهّماً لموضوع أهمية وحدة سوريا ونسيجها الاجتماعي، بالتأكيد هناك مشاعر طائفية حصلت في كل سوريا، إلا أنني أستطيع القول إن حماه لم تنجرّ بقوةٍ للطائفية، في النهاية الناس ليست ملائكة.

أصرّ الحمويون أن لا يدخل سلاح إلى حماه، وربما هنا تتجلى قيمة المدينة المدنيّة الوحيدة والتي هي «حماه».. كيف يمكننا كمجتمع مدني أو كناشطين أن نعمم تلك القيم على باقي المدن؟

بالنسبة لموضوع السلمية في المدن الأخرى، لا أعتقد أن الناس تخلت عنها بإرادتها، وبالعودة لحماه فإن لها وضعاً خاصاً، يعود لوعيها فيما يخصّ المذبحة الأولى ١٩٨٢، الأمر الذي جعل أهلها أكثر حذراً في التعامل مع هذا الموضوع، خاصة أن «العسكرة» في ٨٢ كانت غطاءً للنظام في المرحلة الأولى، وهذا الموضوع هو الذي لعب عليه النظام بخصوصية موقف حماه.

في أغلب المدن لا نشهد عملاً مسلحاً في مراكزها، ربما في حمص كان هناك حراك مسلح ضمن الأحياء وكأن هناك مخططٌ خاص لها، وأيضاً في إدلب والتي هي بيد النظام والحسكة والدير إلى اليوم.. ما السبب برأيك؟

تلك المقارنة فيها ظلم للمناطق التي يتواجد فيها السلاح، حماه برأي جميع السوريين كانت ستستخدم السلاح لو أتيح ذلك لها، لكن ولأن النظام جرّها إلى العسكرة سابقاً فقد كانت أوعى هذه المرة وحقنت حجم الخسارات.

الثورة في حماه خرجت من الأماكن الأشد فقراً، إيماناً بالحرية وأننا لم نخرج لنحيا ما وضعنا النظام فيه، نريد التغيير نريد أن نعلم أولادنا نريد أن نتنفس الحياة.

متى سمعت عن أول مظاهرة في حماه.. وما كان شعورك؟

جاءت صديقة إلي في أول مظاهرة خرجت من حماه، كنت وقتها في الفراش وصاحت بي: «حماه حماه.. تحركت» خرجنا بسيارتها وكانت المظاهرة آنذاك خرجت من جامع عمر بن الخطاب.

في الطريق رأيت شباباً يركبون على الدراجات النارية ويلبسون القميص الداخلي، وقتها لم يكن الناس يفرقون بين المتظاهر والشبيح، وجدت

د.فداء حوراني – خاص حنطة

المنظر غير لائق، ومع ذلك حييتهم، لكن بعد ذلك اكتشفت عقب دخولنا ساحة العاصي أنهم كانوا شبيحة!!

ما رأي فداء الالحوراني بمؤتمر جنيف..؟

بداية أود القول أنه كان لدينا أمل أن الثورة عندما تحولت إلى العسكرة ستستطيع أن تحل القضية، لكن قضية التمويل في أكثر من قناة، والدول التي اتضح أن لكل منها مصلحة خاصة، وتقطع التسليح أحياناً وتعاوده أحياناً حسب المصلحة، شتت كل سبل الحل، رغم أن السوريين حاولوا أن يكون التسليح ذاتياً، لكن النظام مدعوم من إيران ومن حزب الله مما يعني إمكانياتٍ هائلة، وفي مثل هذه الحالة جنيف يعطي الحد الأدنى من المطالب، ثلاث سنوات من التضحيات الهائلة، نحتاج إلى أي شيءٍ يحرك الوضع أو يغيره، وإذا كان هناك حل سياسي فذلك جيد حتى لو كان لديك سلاح، أنا لا أقول إن الذهاب سيحل المشكلة، فهناك نظامٌ متجذّر ونحن نرى كيف تسير الأمور في مصر وكيف ستكون ردات الفعل في سوريا.

قال وليد المعلم: «واهم من يتخيل أن النظام سيتخلى عن السلطة»، يعني ذلك أن حتى تنحية بشار غير مطروحة.. ما تعليقك؟

من حيث المبدأ نحن مع حل سياسي يجنب السوريين هذا الموضوع، وطبيعي أن يقول المعلم ذلك، فذلك أمرٌ متفق عليه، الوضع الدولي مأساة بالنسبة لنا وأي حل سياسي ليس له أدوات نجاح وطروف نجاح سوف يؤدي إلى كوارث.

كيف ترى فداء الحوراني الأمل؟ وكيف ترى سوريا سابقاً ولاحقاً، وكيف نفكر بها كسوريين؟

سأتكلم بما أشعر، ففي مرة كنت أشاهد صور السوريين على التلفزيون ومأساتهم، وكل تلك المناظر التي نراها، كنت أشعر بأنني طفلة. من مدة قريبة كنت أشاهد التلفزيون. كان هناك فيلم وثائقي عن أيام حافظ الأسد، لحظتها شكرتُ الله أنني رأيت هذا اليوم، لأنّي لم أكن أتصوّر أن الشعب السوري سيأتي يومٌ ينتفض فيه بهذه الطريقة.

لقاء خاص وموسع مع القائد العسكري (ردّاد خلوف) قائد لواء صقور معرة النعمان التابع للجبهة الإسلامية

لقاء محمد جدعان

لدينا وثائق سنكشفها قريباً، حول علاقة البعض بالمخابرات الإيرانية
هدف «تنظيم الدولة» الحقيقي إجهاض مشروع الجهاد

ردّاد خلوف قائد لواء صقور معرة النعمان

لو سمحت، حدثنا عن عمل لواء صقور معرة النعمان في معرة النعمان في هذه الآونة، وخاصة في المعارك الدائرة بين تنظيم الدولة الإسلامية وباقي الفصائل.

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصبحه أجمعين، أما بعد إخواني فنحن منذ أن قمنا في هذه الثورة لم نقم إلا من أجل أمر واحد ألا وهو الجهاد في سبيل الله ضد هذه العصابات الأسدية، التي تصول علينا والتي تصول على ديننا وعرضنا وأموالنا ومالنا، فلذلك بدأنا في هذه الثورة جهادا نلملم به ضعفنا ونلملم به إمكانياتنا شيئا فشيئا، حتى مكننا الله من بعض السلاح الثقيل والسلاح النوعي، وازددنا عددا وعدة وبذا أصبحنا ننتقل من إنتصار إلى آخر، ولكن أخي الكريم، في الأونة الأخيرة، مما يقارب حوالي ستة شهور و حتى الآن، عاشت الثورة السورية في بعض من الاضطرابات الداخلية، وهذه الاضطرابات الداخلية كان منها ما هو مقصود من النظام، ومنها ما كان غير مقصود، ومنها ما قد يكون له علاقة بالمخابرات الإيرانية أو غيرها، والله أعلم.

ولكن أعدكم إن شاء الله أن إثباتات حول هذا، سوف تكون قريبة إن شاء الله حالما يحين الوقت، أما إذا كنت تريد مني أن أجيبك على ما يحصل الآن من قتال بين المجاهدين وتنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام، فجوابي على محورين.

أولا أخاطب عناصر الدولة الإسلامية وأقول لهم أن يرجعوا إلى جادة الصواب، وإلى الحق، فهم عبارة عن أشخاص مغرر بهم استغلوهم بفطرتهم السليمة لنيل مآربهم، ولتحقيق أجندات لهم في السيطرة وفي إجهاض مشروع الجهاد في أرض الشام، أما بالنسبة للأمراء ومن يعرف ماذا يفعل، فنحن لا نقول إلا أنهم إخوة لنا في الدين ولا نكفرهم ولا نصفهم بأي صفة أخرى. وإنما نقول إنهم بغوا علينا، فكما أمرنا الله: (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ).

من هنا عانينا ما عانيناه من ظلم وترهيب من تنظيم الدولة، فكان البغي علينا واضحا للجميع، من مقتل الأخ أبو عبيدة البنشي إلى الدكتور أبو ريان إلى غيرهم وغيرهم.. إلى كل هذا الترهيب، حتى بدا التنظيم وكأنه صائل آخر يتمثل لنا، فلاحظتم في بعض المظاهرات التي قامت في معرة النعمان حيث قام الناشطون وقالوا (أصبحنا وأغلبنا مطلوب للدولتين)، هؤلاء كلهم بالفطرة مسلمون، فلذلك تم الأمر نتيجة ضغط كبير علينا من تنظيم الدولة الإسلامية من بغي وظلم وترهيب، فكان لابد من انتفاضنا لقتالهم لردهم إلى جادة الصواب.

البارحة قال قائد جبهة ثوار سوريا في حديث على إحدى الفضائيات إن المهلة التي أعطاها لتنظيم العراق والشام قد انتهت وأن الحرب دائرة بينهم وأن بعض الفصائل لم تسانده كما كان هناك متفق.

هل كان هناك اتفاق بينكم وبينهم على العمل المشترك ضد تنظيم الدولة؟

بداية لم يكن هناك أي اتفاق، ولكن أؤكد لك أن كافة الثوار وكافة الجبهات وكافة المجاهدين في أرض الشام تأذوا من تنظيم الدولة. سأحدثك بمثال، في معرة النعمان، كل الفصائل التي كانت في معرة النعمان كانت قد أرهبت واضطهدت أحيانا من تنظيم الدولة، من اختطاف أو غيره، فكان ما كان يوم الجمعة الماضي بدون تخطيط مسبق وبدون تنسق فيما بيننا بعد صلاة الجمعة التي أُحرج بها أمير الدولة في المعرة إحراجا وثبت نقضه في العهود التي عقدها مع الشيخ أحمد إمام وخطيب الجامع الكبير في معرة النعمان، وخطب خطبة الجمعة فأعلن أن كل مقاتل من الدولة هو عن ألف مقاتل من غيره، أي قام بمعنى ما بتسفيه المقاتلين والمجاهدين في معرة النعمان، فما كان لنا بعد صلاة الجمعة الماضية إلا أن انتفضنا وقمنا باعتقالهم بشكل كامل ووضعهم في السجون لدينا هم وسلاحهم وجميع مقراتهم وسيتم عرضهم إن شاء الله على محاكم شرعية مستقلة ونعلم الحكم الشرعي بهذا الأمر، تماما كما علمنا الرسول عليه الصلاة والسلام، من أن قتال البغاة لايكون كقتال الكفار أو المشركين، فلم نلاحق

مُدبِرهم ولم نحرق مساكنهم، ولم نسبِ أموالهم ولا سلاحهم، ولن نستعين بمشرك على قتالهم، كما علّمنا الرسول عليه الصلاة والسلام، وهم لدينا في أحسن أحوالهم، ولا تتوجه لهم كلمة مسيئة، وإنما يُدعَون للعودة إلى جادة الصواب والحق.

هناك مشاكل كثيرة بين صقور الشام والجبهة الإسلامية وأحرار الشام التابع للجبهة الإسلامية وبين الدولة الإسلامية في العراق والشام، قبل بدء هذه العملية، وهناك معتقلون كثر لدى الدولة الإسلامية من الجبهة الإسلامية، هل هناك تفاوض بين الجبهة الإسلامية ودولة الإسلامية في العراق والشام من أجل السجناء والمعتقلين لديهم؟

أخي الكريم. المشكلة الحقيقية في تنظيم الدولة الاسلامية في العراق والشام هي عدم اعترافهم وقبولهم بالآخر، ولو أنهم يعلمون بقرارة أنفسهم أن هناك مجاهدين على الأرض أفضل منهم وأثبت منهم، يعلمون كل ذلك لكن لا ينظرون إليهم كأنداد، لأن الموضوع لديهم أنهم يحسبون أنفسهم دولة، وكلمة دولة تعني خليفة وإماما وحاكما على الجميع، وما علينا نحن إلا أن نبايعهم على السمع والطاعة، وعلى هذا فالحكم الشرعي بهذه الأمور يختلف. بمعنى آخر عندما قامت إمارة لعبد الله بن الزبير في الحجاز، واستمر اثني عشر عاما بها وكان يطبق شرع الله ويحكم بما أنزل الله، ومع ذلك قام الخليفة بإرسال جيش له ويرأسه الحجاج، وقام بقتله على أستار الكعبة. هنا تختلف الأمور الفقهية والشرعية، في ظل وجود دولة وفي عدم وجود دولة، نحن نقول إننا نمثل مشروع بناء أمة اسلامية ترتقي بفقه الواقع وفقه المراحل ببناء الجيل المسلم وإعداده عقيدة وفقها وإرشادا ليكون لبنة بناءة في بنيان الأمة الإسلامية، أما عندهم فمختلف. كما قلت لك عندما أنظر للناس على أنهم رعية وأنا الدولة تصير مشكلة، وعلى حد علمنا بشرعنا لا يجوز لهم إعلان دولة لأنه لا يجوز مبايعة مجهول. من هو البغدادي؟ نحن لا نعرفه. وقد علّمَنا أبو بكر الصديق عندما وصف رضي الله عنه صفات كثيرة في آخر خطبة له يصف بها خليفته ثم قال أجدها في عمر بن الخطاب. على الخليفة أو الإمام أن يتمتع بعدة صفات أهمها أن يتجول في كل شعاب المسلمين دون أن يخاف على نفسه، ونحن لا نجد بالشيخ أبي بكر البغدادي هذا الرجل. لا نعرفه ولا نعرف شيئا عنه ولا نراه. هو مغيب عن الشعب فلا بيعة له، ومن الأصل لا موافقة على بيعتهم من الفصائل الجهادية في العراق منذ البداية فكيف لنا نحن في أرض الشام أن نبايع شخصا لم يبايعه أهل العراق. وهنا يكمن لب الموضوع، وعليه أخي نحن نقوم باحتجاز معتقلين من تنظيم الدولة العراقية وهم لدينا إخوة ونعاملهم بالحسنى وقد سمعنا مؤخرا عن قتل الأسرى لديهم ونقول حسبنا الله ونعم الوكيل. لا أظن أن ظلما يستمر، ولا أراهم إلا قتيلا أو شريدا أو طريدا، فدولة الظلم لا بد أن تزول، ولا يستمر الظلم أبدا. نحن نسأل الله أن يعيننا على هزيمة هذه الفتنة وحفظ دماء المسلمين وإنهاء هذا الأمر بأقل الخسائر وأقل الدماء.

هناك خبر بأن السجن التابع لتنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام بمنطقة كلي بريف إدلب الشمالي قد تحرر على يد الجبهة الإسلامية. هل لديكم علم بهذا الأمر، وما هو عدد المعتقلين الذين تم تحريرهم؟

ليس لدي معلومات كاملة عن هذا الأمر، ولكن أؤكد لك أنه قد تجاوز عدد المعتقلين مئة وخمسين أو مئتي مقاتل من تنظيم الدولة، ولا بد من أن يكون هناك شيء من التفاوض والاتصال حتى يرتدوا إلى جادة الصواب.

هناك بعض العناصر التابعة لدولة العراق والشام انضمت إلى الجبهة وتركوا تنظيم الدولة الإسلامية. ما هو موقفكم من هذا؟

نراه أمرا إيجابيا وجيدا، لأننا نعلم أن كل من التحق بتنظيم الدولة هو من شبابنا الذين جاهدوا معنا منذ بداية الثورة، وهم أناس نحسبهم أهل خير واستغلت طيبتهم وأتوهم بهم من حيث يحبون، من الشرع والعقيدة ومحاربة الفساد وطرد الظلم، ولكنهم مغيبون ولا يعلمون ما هي المآرب الحقيقية لتنظيم الدولة. وهناك سؤال بديهي عليهم أن يسألوه لأنفسهم. لماذا انتشار التنظيم في المناطق المحررة ولا وجود لهم على الجبهات أو في الرباط وفي المعارك الدائرة والمستمرة، إلا بعض العمليات النوعية القليلة. نحن من خلال قراءتنا لتاريخ تنظيم القاعدة في العراق والشام ومقتل الشيخ أبو عمر البغدادي وأبو حمزة المهاجر واستلام الشيخ أبو بكر البغدادي، نسأل أين كان أبو بكر البغدادي ومن دخل في مجلس شورى المجاهدين؟ أنا أطلب من منبركم من الجميع قراءة التاريخ لمعرفة حقيقة تنظيم القاعدة وحقيقة دولة العراق الإسلامية. سوف تتبين لك حقائق كثيرة واسألوا من كان بها خبيرا، وهم إخواننا القدامى في جبهة النصرة.

هناك أرتال عديدة قدمت من الرقة إلى مدينة حلب. هل هناك أي تعاون بينكم وبين الجبهة الإسلامية في مدينة حلب، وما هي أخبار المعارك في مدينة حلب حتى الآن ؟

أستاذي الكريم نحن في الجبهة الإسلامية عبارة عن كتلة واحدة وجسد واحد وتقوم فيما بيننا الاتصالات والتنسيق الدائم والمتبادل. في آخر اتصال مع إخواننا في حلب قالوا إنهم سيطروا سيطرة تامة على الوضع وحرروا عدة مناطق من أيدي تنظيم الدولة، ونعلم حق العلم ومن منبركم نريد أن ننقل هذا الأمر. لا نقاتلهم لقتلهم بل نقاتلهم لردهم إلى جادة الصواب فإن لم يرتدوا فآخر خيار يكون القتال والقتل، ونحن مدركون تماما حجم هذا الأمر ونعد له الإعداد الجيد، ولا يؤثر أبدا أي رتل من أرتال الرقة أو غيرها في مسار ثورة المجاهدين ولن يزعزعوها أو يغيروها بإذن الله والأمور كلها تحت السيطرة. أنا أتفائل بالخير من خلال محادثتي مع إخواني بحلب وريف إدلب الشمالي.

الشعب كان له اليد الكبيرة في قيام هذه الكتائب الإسلامية وجبهة ثوار سوريا ضد تنظيم الدولة. ولكن هناك من الشعب أيضا من يقول إن هذه المعارك فتنة بالداخل وتقصم ظهر الثورة، ما رأيكم؟

والله بالنسبة لرأي الشعب وأقولها بصراحة،الغالبية تريد الراحة والخلاص. الجميع متعب وتململ من الصدامات والقتال ومن الطائرات ومن القصف وغيره، ومن هنا جاءت نظرات مختلفة للشعب. كلمة الشعب انت تعني بها أمة ولا يمكن أن تحدد موقفا واحدا. من الشعب من هو مدرك وعارف لما يحصل ولديه الاطلاع الكامل ومن الشعب من هو مغيب تماما ومن الشعب من ينادي بدولة إسلامية ومن الشعب من ينادي علمانية.. إلخ. من هنا أخي الكريم لو سألنا أنفسنا سؤالا: لماذا كان في الثورة السورية فضائل كثيرة ومسميات كثيرة وبدأت الأمور تتراوح،

بين قطاعي طرق وطالبي خلافة راشدة أو دولة إسلامية أو علمانيين.. مفاهيمنا تختلف من شخص إلى أخر، وهناك من يقيس الثورة بناء على مصلحته الشخصية، ومنهم من يريد حكما مدنيا والشعب يقرر ما يريد ليحكم الشعب بنفسه، ومنهم من يسعى إلى بناء دولة إسلامية على منهاج النبوة.. في بداية الثورة كنا كلنا في خندق واحد ولكن تمايزت الناس، فكل من اجتمع معي بالفكر تآلفنا وأصبحنا فصيلا معينا، وعليه أصبحت هذه الفصائل ومثلها الشعب. من الناس من لا يريد إلا الخلاص، وهناك من يلتزم الحياد ومن يسهر ليلا بالدعاء للمجاهدين ولا يتركهم ولا يغيبون عن ذهنه لحظة والأمر لا أستطيع أن أحصره في خط واحد.

علت أصوات كثيرة في هذه المرحلة تقول إن الجيش الحر الذي قام بهذه العملية وإن ثورة جديدة في سوريا قد ولدت. ما رأيك بهذا؟

أنا أرجح الرأي الثاني. منذ البدايات قمنا بتشكيل سرية كان اسمها سرية سند الإسلام التابعة لكتيبة صقور الشام، وكان تعدادنا في كتيبة صقور الشام آنذاك مئة مقاتل، وكانت سريتي ثمانية عشر إلى عشرين مقاتلا من الكتيبة. كنا في ذلك الوقت في أوائل عام ٢٠١٢، شكلنا كتيبة تابعة للجيش الحر واستمرينا على ما يقارب سنة كاملة. إذن الجيش الحر هو عبارة عن مسمى مرحلي مؤقت كان يضم كل المقاتلين والمجاهدين ومن قام بالثورة السورية، أما في المرحلة الثانية فقد تمايز الناس فكريا وليس قتاليا. نحن لا نقول إن من ظل الآن تحت مسميات الجيش الحر أو الفرق أو الأركان أو غيره ليسوا مجاهدين. هم مجاهدون وهم أهلنا وإخوتنا كنا وما زلنا سوية في خندق واحد. المسميات فرضتها الاختلافات الفكرية والعقائدية. بمعنى آخر أنا طموحي بناء دولة إسلامية على منهاج النبوة نسير بها لبنة لبنة،آخر يقول ليس هدفي هذا، بل هدفي إسقاط النظام وفقط، فمن هنا جاء الاختلاف على الفكرة المستقبلية وجاء التلاقي في المرحلة الآنية، فنحن وإياهم لا نختلف، ومن ينادي ويقول بأن هذا الحراك قام به الجيش الحر فقط أو الجبهة الإسلامية فقط، فهو غير دقيق.

HAVA SMART

هوا سمارت

دمشق.حمص.حماه 103.2

حلب.ادلب.اللاذقية.دير الزور 99.6

إذاعة هوا سمارت

راديو الكل

العاصمة أون لاين

سوريالي

من الساعة

6 الصبح - 12 مساءً

من مسائل الثورة السورية (١)

العفوية، وهروب المثقف من الثورة

مروان عبد الهادي

من مظاهرات مدينة السلمية ٢٠١٢

أفرزت الثورة السورية، مثل أية ثورة في العالم، خلال مسارها الطويل، منذ انطلاقتها، العديد من الاشكاليات، والأسئل، التي تشكل في مجملها أسئلة أو مسائل الثورة.

وأهمية هذه المسائل تأتي من أنها ما زالت موضوع جدل وحوار مستمر بين أفراد المجتمع السوري بمكوناته وتياراته المختلفة حتى الآن. ومع استمرار الثورة وتعقد مسارها، ودخول الصراع المفتوح بين الشعب والنظام في نفق مظلم، يصبح من الضروري التوقف عندها، والاشتغال عليها، والارتقاء من الجدل الشعبوي السطحي، أو الجدل الإيديولوجي المغلق الذي يحمل الإجابات الجاهزة، إلى التأسيس المعرفي لهذه المسائل، بقصد الارتقاء في العمل الثوري، والتأسيس لما يمكن تسميته اصطلاحا «فلسفة الثورة». والثورة لا تنتج فلسفتها إذا لم تستند إلى فهم صحيح للواقع الذي تسعى إلى تغييره.

ومن المسائل المهمة التي ما زالت حاضرة في كل الحوارات: العفوية والثورة، اللاعنف والثورة السلمية، المثقف والسياسي في الثورة المسلحة، الأسلمة والعسكرة، الأقليات والأكثرية، بنية النظام الاستبدادي، البديل الثوري، الدولة المدنية والديمقراطية والعلمانية.. إلخ.

العفوية والمثقف

منذ البداية، كانت الثورة عفوية، وسلمية، وكانت أهم الانتقادات الموجهة لها: هل هذه ثورة، أم حراك، أم احتجاج..؟ وأين هو حزبها وقادتها وما هو برنامجها؟ وهي تساؤلات جدية، وما زالت تنتظر اجابات غير خطابية.

إلا أن الانطلاقة العفوية للثورة لم توقفها أسئلة كهذه، وخاصة أن الشعب يكبت في داخله كل أنواع القهر والظلم، وهو مهيأ للانفجار في أية لحظة. وهذا ما رأيناه في انتقال شعلة الثورة إلى كل المدن وبسرعة قياسية. ولم يكن الشعب عموما مهتما بتوصيف الثورة، وأحزابها وقيادتها. بل إنهم بأحاسيسهم، ومشاعرهم الملتهبة المكبوتة ضد النظام، جعلهم شاركوا ببساطة على أنها ثورة، وأن قادتها هم أبناؤهم الذين كبروا ونضجوا دون أن يشاوروهم، كما أنهم ليسوا بحاجة لبرامج عقيمة مهملة في الأدراج، إذ يكفيهم أنها ثورة ستؤدي إلى اسقاط النظام، الكابوس الذي يجثم على صدورهم منذ نصف قرن، وسقوط النظام يعني نيلهم حريتهم وكرامتهم.

وقد بدأ شباب الثورة عملهم الثوري من الصفر. وليس في جعبتهم من الإرث الثوري الذي يمكن أن يساعدهم للقيام بتحديات الثورة. ومع ذلك تعلموا بسرعة وأبدعوا في مواجهة الرصاص، وفي تنظيم المظاهرات، والتنسيق فيما بينها والتأسيس لقيادة سياسية وإعلامية للثورة تجسدت باتحاد التنسيقيات والهيئة العامة للثورة.

لكن كل ذلك تم ضمن العفوية الثورية، فالخطاب القصير على الفضائيات، وتسمية أيام الجمعة، والشعارات في المظاهرات، لم تكن كافية للتعريف بالثورة وأهدافها وبرامجها. كما أن صنع السياسة الثورية في مجتمع ميت ومهزوم، ليس بالأمر السهل، ولا يمكن تحقيقه بسرعة تتوافق مع تسارع مفاعيل الثورة على الارض. ويبدو أن شباب الثورة لم يكن في ذهنهم رؤية استراتيجية للارتقاء بالعمل الثوري، وخاصة العمل على التأسيس لبناء تيار سياسي يقود الثورة فعلياً على كافة المستويات.

ولم يكن في مخيلة الثوار سوى تجارب الربيع العربي في مصر وتونس وليبيا، والتي تمت قراءتها على عجل، وبعفوية سياسية غير ناضجة. وكان الحلم الثوري يحكم آمالهم في انتصار الثورة السريع كما حدث في تونس ومصر، بسبب وقوف الجيش إلى جانب الثورة، والتضحية برأس الاستبداد. أما الجيش في سوريا، فهو موضوع مختلف كليا، ولم تُفد الورود التي قُدمت له في المظاهرات السلمية، وشعارها «الشعب والجيش إيد وحدة».

وعندما وصل عدد الشهداء إلى أكثر من خمسة آلاف، بدأ الحلم على الطريقة الليبية باستجداء التدخل الخارجي. وهذا الحلم تبدد أيضا، نتيجة القراءة الساذجة لموقف الغرب الذي يدعي دعمه للديمقراطية وحقوق الانسان. ورغم ذلك مازال الحلم يدغدغ عقول السياسيين القابعين في الائتلاف وغيره، رغم النتائج الفاشلة لمساعيهم خلال العامين الماضيين.

المباشرة وعدم التخطيط ملازمة لانطلاقة كل ثورة، لكن لا يمكن للثورة أن تتقدم إلى الأمام إذا استمرت هذه العفوية، ولم تنتقل إلى الوعي الثوري المنظم، وتجربة الثورة السورية السلمية القصيرة، لم تقدم الوقت الكافي لهذا الانتقال، كما أنها لم تجد من يساندها في الداخل على ذلك، وخاصة المثقفين وبقايا المعارضة القديمة.

فالمثقف السوري لا يختلف حاله عن باقي أفراد المجتمع، إذ من الطبيعي أن يكون المناخ الثقافي والسياسي سكونيا ومستنقعيا، لا يختلف من حيث الجوهر عن باقي القطاعات المجتمعية الأخرى. وإذا تجاوزنا أبواق السلطة، أو مثقف السلطة، فقد دفع المثقف السوري ثمناً غالياً لمعارضته النظام في مرحلة الثمانينيات من القرن الماضي.

ومع وراثة الابن المهزلة السلطة عن الأب منذ بداية القرن الحالي ووعوده بالإصلاح والتحديث، عاد المثقف المعارض ليظهر من جديد عبر المنتديات التي انتشرت في كل سوريا ضمن ما يسمى بـ(ربيع دمشق)، والذي لم يستمر طويلا، بعد أن اغلق النظام كافة المنتديات واعتقل بعض الناشطين.

لكن هذا الظهور الجديد للمثقف لم يكن ثوريا داعيا لإسقاط النظام، كما هو في السابق، إنما ظهر مشبعاً برؤية إصلاحية، وبقيادة النظام الذي ادعى ضرورة الإصلاح والتحديث، وقد أصبحت المنظومة الفكرية للمعارضة السورية عموما، ليبرالية محورها الرئيسي المجتمع المدني، والديمقراطية، والتداول السلمي للسلطة، وحقوق الانسان، متأثرة بالمناخ العالمي الجديد بعد سقوط الاتحاد السوفيتي ومنظومته الشمولية، وسيادة الفكر الليبرالي العولمي الجديد. وقد عملت كافة الأحزاب القديمة على تغيير برامجها الإيديولوجية، واستبدالها ببرامج ليبرالية ديمقراطية. ومع أنه لم يتمخض عن ربيع دمشق أحزاب أو حركات سياسية جديدة، إلا أنه عمل على بث الحركة في المستنقع الثقافي الآسن، دون أن يكون قادرا على إحداث فجوة مهمة لتنفس الهواء النقي.

وضمن هذا الجو كانت أعداد الشباب غير قليلة في المنتديات، والذين شكلوا فيما بعد عماد الثورة السورية وتنسيقياتها، وكان من الملاحظ وجود هوة بين جيل السبعينيات والشباب الجديد، ويعود عدم التواصل بين الجيلين إلى الذهنية الإيديولوجية للأول، وجيل الشباب الرافض للأيديولوجيا، والذي لم يختر منظومته الفكرية والسياسية بعد، وأيضا عجز الجيل السابق عن إنجاز أية أنساق معرفية ثقافية، يمكن للجيل الجديد أن يستند اليها، ويستكملها في عملية تراكمية مستمرة.

وبدلا من تحفيز الشباب ودعمهم كي يؤسسوا منظومتهم الثقافية والسياسية الخاصة، عمل الجيل القديم على كسب الشباب إلى دكاكينهم المغلقة، والبحث عن مريدين، وليس مناضلين، وهذا منسجم مع البنية الإيديولوجية المغلقة، والتي تعتمد على الشخصانية التاريخية المهزومة لرموز المعارضة القديمة.

وفي السنوات التي سبقت الثورة، عمل المثقف على عزل نفسه عن السياسة، وبالتالي توزع المثقفون إفراديا في مواقع مختلفة، مثل المثقف الناقد، والمثقف الناصح للنظام، والأغلبية من المثقفين كانت تنضوي تحت عنوان المثقف المنافق.

ومنذ انطلاقة الثورة السلمية، برز المثقف المنافق إلى السطح، والذي كان ينظر للثورة بمنظار الريبة، وعدم الثقة بقدرة الشعب على إسقاط النظام، ويقدم نفسه على أنه مع الحرية، والديمقراطية، ومع المعارضة. ويبدأ مقولته متشبهاً بالمثقف الناقد، باحثا عن أخطاء وثغرات الثورة مثل أن أعداد المتظاهرين قليلة لا تمثل كل الشعب، والشعارات إسلامية، أين القيادة والبرنامج.. إلخ، ويستنتج ببساطة: أن هذه ليست ثورة. ويرتد بذلك ليحافظ على موقعه مع النظام. إنه يختبئ وراء النقد المزيف، ليردد بصيغ ثقافوية مواقف النظام.

ومع انتقال الثورة إلى الطور المسلح، صرخ بصوت عال: انتهت الثورة، مرددا ضرورة الإصلاح، والانتقال السلمي والتدريجي نحو الدولة المدنية الديمقراطية.

ويندرج تحت هذا العنوان الهروب المزيف لبعض بقايا التنظيمات القديمة مثل (هيئة التنسيق) التي تشكلت تحت عنوان: لا للعنف، لا للطائفية، لا للتدخل الخارجي، باحثة في دفاتر اللاعنف عن الوسيلة المثلى لإسقاط النظام. وللأسف ما زالت هذه اللاءات تتردد حتى الآن بعد كل الجرائم والفظاعات التي ارتكبها النظام بحق الشعب. وكذلك حركة (معا) وغيرها من الحركات التي تشكلت خلال الثورة.

أما المثقف الناقد، الذي أيد الثورة منذ بداياتها، لم يجد له موقعا فيها، لأنه رفض العمل السياسي الجمعي، والحال نفسه بالنسبة إلى بعض التنظيمات القديمة التي أيدت الثورة وانضمت إليها مثل: حزب الشعب، لكنهم لم يشكلوا أكثر من حالات ثقافية بعيدة عن الشعب.

وبالتالي كانت الجهود الفردية للمثقفين ذات تأثير لا يُذكر، أو غير فعال، وذلك لعدة أسباب، أهمها وأولها: عدم سماح النظام للاحتجاج، والاعتصام السلمي في الساحات العامة كما حصل في مصر وتونس، وثانيها: أن العمل الفردي في زمن الثورة غير مجدٍ إن لم يكن رمزا ملهما للثورة والشعب الثائر. وهذا الرمز لم يكن موجوداً، كما أن الثورة لم تفرزه حتى الآن، مع أن كل من المثقفين المؤيدين للثورة، يعتبرون نفسهم الرمز المعبر عن ضمير الشعب والملهم للثورة، وثالثها: طبيعة المثقف بشكل عام، نرجسي، ومتكبر. يُضاف إلى ذلك أن المثقف السوري لم يخرج من عباءة الذهنية الاستبدادية، وبالتالي يجب على الثورة أن تخرج من تحت عباءته! لأنه —وبالأساس– الثقافة الديمقراطية حديثة العهد في سوريا، ولم تجد بعد الأرض الخصبة لنموها.

بعد نصف عام من انطلاقة الثورة، بدأ نزوح أو هروب المثقف من أرض الثورة، عابرا المناطق المحررة، دون أن يلتفت للوراء، إلى دول الجوار، وخاصة تركيا التي احتضنت المعارضين، والذين شكلوا (المجلس الوطني) ثم (الائتلاف الوطني)، الذي احتكر تمثيل الثورة، دون أن يستطيع أن يكون قائدا سياسيا للثورة. بالإضافة إلى العديد من التشكيلات الجديدة الفندقية، والتي تتحدث جميعها باسم الثورة، وكان آخر هذه التشكيلات: (اتحاد الديمقراطيين)، و(كلنا سوريون).. إلخ.

وبدلا من أن يعمل الائتلاف على تشكيل قيادة سياسية للثورة في الداخل،ساهم في بعثرة شباب التنسيقيات، وتشتتهم في الخارج، للعمل في الإغاثة والإعلام، أو بحجة توسعة الائتلاف، أوالانضمام إلى التشكيلات الفندقية. وهذا أدى في النهاية إلى تفريغ الداخل من كل النشطاء، وبالتالي اختفاء الجانب المدني والسياسي للثورة.

وهذا بدوره لم يؤسس لبناء جمهور الثورة، الحامل لثقافة الثورة ومبادئها وأهدافها، والذي يمكن أن يستمر في الدفاع عنها وعن جانبها المدني، إلى جانب العسكري. وكذلك تصويب مسارها وبوصلتها في وجه الانحرافات والتشوهات التي يمكن أن تواجهها. وكذلك أيضا حرم الثورة من تأييد الطبقة الوسطى التي كان من الممكن أن تلعب دورا إيجابيا مهما في الثورة، بالإضافة إلى الأغلبية الصامتة التي تشردت في كل أصقاع الأرض، وتعرضت لكل أنواع الإهانة والجوع والتي بدأت تلعن الثورة ومن وراءها.

فالثقافة في مرحلة الثورة لا قيمة لها إذا لم تكن مقاومة للنظام المستبد، ولا يمكن لهذه الثقافة أن تكون مقاومة، إن لم تكن مرتبطة بالسياسة الثورية بشكل مباشر، أو صانعة لهذه السياسة،

باعتبارها الحاضنة الفكرية للثورة. وهذه الثقافة كانت ومازالت غائبة حتى الآن.

صحيح أن المثقف لا يصنع ثورة، لكن في كل الثورات كان له دور مهم، وإن لم يكن قائدا ملهما، فعلى الأقل يشارك في صناعة سياسة الثورة. وإن لم قادرا على حمل السلاح، إنما يمكن أن يشارك في توجيه هذا السلاح.

والأكثر خطورة هو الانتقال العفوي نحو الثورة المسلحة، وما رافقه من فوضى السلاح، واختلاط الاوراق، ونحن نحصد الآن نتائج هروبنا من المناطق المحررة، بملاحقة كل من يؤمن بالديمقراطية، وحقوق الانسان، من قبل التكفيريين، والذين يُدخلون الثورة في نفق مظلم.

في النهاية، لا بد من السؤال للحوار: ما العمل؟ ماذا يجب أن نعمل من أجل إنقاذ ثورتنا؟ بالتأكيد، لا يوجد جواب جاهز. لكن ربما تكون البداية بالعودة إلى إحياء التنسيقيات من جديد، والعمل على تنظيم حلقات ثقافية–سياسية، تضم النشطاء والمثقفين، تبحث في مسائل الثورة وإشكالياتها، والبحث عن آليات جديدة للعمل المدني والسياسي داخل المناطق المحررة.

عسكر حرامية

الحرب النفسية والنظام الأسدي

منصور العقابي
عقيد منشق

من المعروف أن الحرب النفسية هي أحدى أهم أدوات الحروب العسكرية على مر التاريخ، وتتجلى خطورتها بتحطيم معنويات العدو وتشتيت قواه وزرع الفوضى بين صفوفه، مما يسهّل على القوات العسكرية تحقيق أهدافها بأقل الخسائر وبالسرعة القصوى. وقد دأب النظام الأسدي ومنذ اليوم الأول للثورة على استخدام الحرب النفسية وعلى نطاق واسع وبكثافة غير معهودة تتغير معطياتها وطبيعتها حسب المكان والزمان، وبخاصة الإشاعة السوداء، الأكثر تأثيراً في المعنويات وفي صفوف الثوار والأهالي.

وكانت الشبكة العنكبوتية من أكثر الوسائل التي اعتمد عليها النظام في حربه النفسية وبث الإشاعات، وقد زادت وتيرة الأستخدام لهذه المنظومة في الفترة الأخيرة مع ملاحظة تحسن في الأداء وتلون في المعطيات، وظهرت كثير من المواقع الإلكترونية بقناع معارض وثوري، تبث سمومها بقوة. والحق يقال أنها استطاعت أن تجذب الكثير من البسطاء والسذج، وأحياناً الموتورين، بفعل الأسلوب المتقن في تقديم المعلومة بشكل يداعب المشاعر والعاطفة، ويلغي فعل العقل، بحيث تمر الفكرة الأساسية التي يراد لها أن تفعل فعلها في النفوس دون أن يشعر المتلقي أنه قد وقع في فخ ما يريده النظام.. ومن أكثر المواضيع التي روّج لها النظام وبقوة وفاعلية ومنذ اليوم الأول للثورة، هي الطائفية، عكازه الذي يساعده على الصمود ويمنعه من السقوط ويطيل من عمره.

بروفايل إحدى الصفحات الموالية للنظام السوري

وبالمناسبة فإن استخدامه المكثف للطائفية كان موجها بالأساس للطائفة العلوية وباقي الأقليات، وما المقاطع المسربة التي كان يروّجها النظام والتي تفوح منها رائحة الطائفية الكريهة إلا لجعل الطرف الأخر ينجر إلى مستنقع الطائفية ويغرق فيه وبذلك ينجح هو في إطالة أمد حياته. وللأسف نجح إلى حد ما في ذلك، لغباء وتهور البعض، واندفاع البعض الأخر وراء عواطفه، دون إدرك عواقب ذلك. حتى أن النظام ساعد على إنشاء ونشر مواقع يديرها عملاء له، تبث سموم الطائفية بشكل فظ وتحريضي مقيت، وتشيع أن الثورة قد انتهت وأن الحرب الآن هي حرب طائفية، وهذا مايريده النظام، لأن في ذلك طوق نجاة له. ومن المؤسف أن تجد أن هذه المواقع تجد رواجا كبيرا بين المعارضين والثوار وإقبالا من البعض والغريب أن بعض هذه المواقع ليس صعبا أن تتعرف على عمالته للنظام، بمجرد أن تعمل عقلك وتبطل قلبك، ومنها ما هو واضح بعمالته للنظام لا يحتاج إلا قليلا من التمعّن والتفكّر، لتجد السم الزعاف الذي يقدمه لك في طبق العسل، فتفكّروا يا ذوي الألباب، ولا تكونوا سندا وعونا لمن يريد بكم شرا، وتذكر أنه ليس كل ما يلمع ذهبا، وأن القاتل عندما يريد أن يدس السم للضحية، يضعه في الطعام الأكثر شهية.

في معنى الذهاب أو عدم الذهاب إلى جنيف ٢

عبدالله أمين الحلاق

من حيث ممارساته الاستئصالية على أرض الواقع، ثمة تفاوض سيجري في سوريا في جنيف ٢ ضد نظام فاشي، يشابه نوعاً ماذلك الذي عهده الفلسطينيون من تفاوض قبل عقدين من الزمن، مع احتلال لم يرتكب ما ارتكبه مُمانِعه الذي سيجري التفاوض معه بعد أيام. والحال، أن ما عهده السوريون الثائرون وذاقوه في الأعوام الثلاثة من ثورتهم على يد هذا النظام، كفيلٌ بأن يكون خيارهم واحداً هو رحيل النظام بكافة أركانه ورموزه.

ومع استعصاء الواقع السوري على حل ينهي الموت اليومي للسوريين، واستعصاء النظام الاسدي على أي سقوط محتمل له، مع دعم عالمي وإقليمي مباشر وغير مباشر له، وتكالب عالمي وإقليمي مباشر لكسر الثورة السورية، ونمو جماعات متطرفة لا نظير لانحطاطها وإجرامها إلا الأسدية»داعش نموذجاً»، يبدو استحقاق جنيف٢ وكأنه فُرِضَ على الطرف الثائر على الأرض، ومن خلفه المعارضة السياسية، وبشروط هي دون سقف مطالبهم التي رفعوها في بداية ثورتهم. إن جنيف٢ سينتهي غالباً على حل غير جذري بين الطرفين الذاهبَين إليه، المعارضة بكل تفرعاتها وتنويعاتها من جهة، والنظام السوري من جهة أخرى: حلاً يتجاوز كونه حبراً على ورق، قابلاً للتهافت والسقوط عند أول استحقاق عسكري على أرض الواقع. حل لن يتضمن تغييراً جذرياً في بنية النظام او ممارساته، والأهم: في رئيسه.

يشكل جنيف٢ منذ تم الإعلان عنه، محوراً خلافياً يقسم المعارضة السورية بكافة فصائلها السياسية والعسكرية انقساماً عمودياً، بين مؤيد ومعارض له، بشروط أو من دون شروط، بغض النظر عن نتائجه المحتملة واحتمالات ما يمكن أن يقدمه النظام السوري في المفاوضات، «وهو لن يقدم شيئاً بطبيعة الأحوال»، طالما أنه قوي ومتماسك سياسياً أكثر من معارضيه، ومتمسك بمبادئه الإجرامية أكثر من تمسك معارضيه السياسيين بمبادئ الثورة عليه، وطالما أنه يسيطر على أراضٍ سورية بقوة، وطالما أن الفوضى تعم المناطق التي تسيطر عليها المعارضة —على اختلاف هذه المعارضة

ومع اجتماع مجموعة أصدقاء سوريا في الشهر الجاري، وإقرارهم بالإجماع دعم الائتلاف الوطني السوري المعارض برئاسة رئيس الائتلاف الذي أعيد انتخابه، أحمد الجربا، واعتبارهم «أن الانتقال السياسي في سورية لوضع حد للنظام المتسلط يقدم وحده حلاً حقيقياً عبر هدف جنيف ٢ الذي ينبغي ان يعقد ضمن المهلة المحددة» كما جاء على لسان وزير الخارجية الفرنسي لوران فابيوس.. يبدو لوهلة وكأن الغرب ذاهب إلى جنيف صفاً واحداً إلى جانب المعارضة السورية لإزاحة الأسد، واستكمال ما يلزم لاستتباب الأرض للسوريين من دون النظام، وإعادة بناء بلدهم من جديد.

إلا أن الرد على ذلك يأتي هذه المرة من الرئاسة السورية التي قال بيانٌ صدر باسمها بأنها «لا تستغرب.. ما جرى في باريس من اجتماع لأعداء الشعب السوري وما تمخض عنه من تصريحات أقرب إلى الأوهام منها إلى الحقيقة ولا تصدر إلا عن أشخاص منفصلين عن الواقع وبعيدين كل البعد عن أي منطق سياسي مقبول».

الواضح، أن ذهاب المعارضة إلى جنيف٢ لن يكون مجالاً للتفاوض على انتقال السلطة الفوري من بشار الأسد إلى سلطة رئاسية ودستورية جديدة، ذلك أن النظام والرئيس الذي ورث سوريا مزرعةً عن والده، ولا يزال يعامل السوريين أرقاماً في هذه المزرعة، لن يكدر صفو أحلام توريثه سورية لابنه مستقبلاً، أي حدث أو عمل سياسي أو حتى ميداني وإن يكن بحجم الثورة السورية. الثورة السورية زلزلت قناعات العالم كله بالسوريين بمن فيهم القوى الداعمة للأسد، إلا الأسد الذي لا يزال يعتبر أن فرص العودة إلى ما قبل ١٥ آذار ٢٠١١ لا تزال متاحةً بقوة له. ولكن، ألا يفعل الضغط الدولي على الأسد فعله في هذه الحالة؟

يفترض أن يضغط المجتمع الدولي بقوة على الأسد للتنحي واعتبار تنحيه بداية وقف شلال الدم اليومي في سوريا، إلا أن الموقف الدولي من «الأزمة» كما يحلو لهم تسميتها، والداعم للأسد من قبل الروس تحديداً، والمعبر عن القلق لدى داعمي الثورة، لا يوحي بنيّة فعلية لدى المجتمع الدولي في الضغط على بشار الأسد للتنحي بإرادة دولية: الأسد الذي اكتفى الأمريكان بتحريك بارجة عسكرية امام الشواطئ اللبنانية، لكي يأمر جيشه بالانسحاب من هذا البلد عام ٢٠٠٥.

إلى ذلك، نجد من كان يزحف على رُكبه في طريقه إلى جنيف ٢ من جهة، ليحجز مقعداً له ولهيئته «هيئة التنسيق» في المستقبل وبأي ثمن، تحت عنوان غريب ومن عالم ما وراء الطبيعة هو «تفكيك النظام من داخله»، قبل أن ترفض الهيئة الذهاب إلى المؤتمر قبل «جلاء الملابسات» بحسب تعبير هيثم مناع. كما نجد من صار يعارض المؤتمر بسبب حضور إيران له بعد ان كان موافقاً على الذهاب إليه، ونعني الائتلاف السوري المعارض، في تتمة لمسلسل من خطابات عشائرية وعويل وبكاء بَعيد كل البعد عن الكلام السياسي.. تشهد لذلك تصريحات أحمد الجربا مؤخراً. كما يضاف إلى الرافضين لجنيف٢، كل من لا يمتلك خارطة طريق مستقبلية ديمقراطية ستكون بالطبع على حساب تورطه في دعم التطرف والتيارات الراديكالية على الأرض.

غير ذلك، نجد قسمين من السوريين لا يزالان يحترمان أنفسهما، بتقديرنا، في الموقف من مؤتمر جنيف٢:

الأول هو الذي يعارض الذهاب إلى المؤتمر عن قناعة مبدئيةوصحيحة، بأن اللعبة والقرار اكبر من طاولة هذا المؤتمر، كما هو إجرام النظام غير المحدود.. والثاني وقوامه ناشطون وسياسيون سوريون وطنيون غير متورطين بالكذب على السوريين والتلاعب بأموالهم وأمنهم،وهو القسم الذاهب إلى جنيف ٢، لا ليقدم تنازلات للخلافة الاسدية، وإنما لأنه يعتقد أن أي تنازل «شكلي» من النظام، حتى لو كان على مستوى السماح بإدخال الطعام إلى مخيم اليرموك، قد يخفف عدد الموتى يومياً في سوريا، دون الحاجة إلى خطابات النفير العام والحشد ومعارك التحرير الوهمية التي انتقلت عدواها من الأسد إلى معارضيه.

طلعنا عالحرية..قراءة أولية في الإعلام السوري الجديد

إلى رزان وسميرة ووائل وناظم ومازن

ماجد كيالي

أثار اختطاف رزان زيتونة وسميرة الخليل ووائل حمادة وناظم الحمادي مجدّداً مسألة العلاقة التكاملية أو التنافسية أو التعارضية بين الوجه الشعبي، أي المدني والسياسي والديمقراطي لهذه الثورة، ووجهها العسكري أي المسلح والعنفي والمتطرّف. ربما يجدر بنا هنا أن نأخذ في الاعتبار أن هذا التأزّم، بحدّ ذاته، ليس جوهرانياً، ولا ثابتاً، إذ هو ناجم في الأصل، عن تأزّم الثورة والمجتمع السوريَين، بمعنى أنه نتاج عديد الأسباب، داخلية وخارجية، ضمنها العنف التدميري الذي انتهجه النظام ضد السوريين، وحثّه على إضفاء طابع طائفي عليها، إضافة إلى طول أمد الثورة، وتصدّع اجماعات السوريين، وغياب غالبية المجتمع عن معادلات الصراع، وخذلان المجتمع الدولي.

يتفق كثيرون على أن رزان باتت بمثابة الوجه الأبرز الذي يعبّر عن الوجه المدني لهذه الثورة، في طورها الأول، حسب تعبير لحازم صاغية، ليس لأن رزان حقوقية وكاتبة وناشطة سياسية، فقط، بل ولأنها أصرّت، أيضاً، على البقاء في سوريا، ولم تخرج، رغم كل التهديدات التي تعرّضت لها.(أنا هنا لأنني هنا في سوريا بلدي)، هكذا أجابت رزان، التي كانت أسّست (لجان التنسيق المحلية)، وأنشأت (مركز توثيق الانتهاكات في سوريا)، وسهرت على اصدار مجلة (طلعنا عالحرية).

عموماً، ليس القصد هنا الحديث عن رزان، وإنما عن الوجه المغيّب لهذه الثورة، الذي تمثله رزان وأمثالها، والذي تدين له هذه الثورة بوجودها، وبشرعيتها. فهؤلاء الشبان الشجعان هم الذين كسروا حاجز الخوف، وتحدّوا جبروت النظام، وأجهزة المخابرات وعصابات الشبيحة، وخرجوا الى ساحات المدن، يهتفون: (الشعب السوري ما بينذل) و(سوريا بدها حرية)، مع أن سلاحهم الوحيد كان يتمثّل بالمظاهرات والتجمعات الشعبية، التي كانوا يصدحون فيها بحناجرهم بأناشيد الحرية، ويلوحون فيها بقبضاتهم.

طبعا، ليست هذه مفاضلة بين الوجه الشعبي والمدني للثورة وبين وجهها العسكري والمسلح، فمن السذاجة الاعتقاد بإمكان إسقاط هكذا نظام بمظاهرات واعتصامات وشعارات، وإنما الغرض هنا يتعلق بالتنويه إلى مخاطر تغليب وجه على آخر، ومخاطر إزاحة البعد الشعبي للثورة وتهميشه لصالح البعد المتعلّق بالعسكرة والجماعات المسلحة.

وفي مراجعة لمسارات الثورة يمكننا ببساطة ملاحظة أن النظام اشتغل بحرص ودأب شديدين، منذ البداية، على إزاحة البعد الشعبي، المدني والسلمي والديموقراطي للثورة.

فقبل بروز ظاهرة العسكرة، والصراع المسلح، كان معدل الشهداء برصاص رجال الأمن والشبيحة يبلغ نحو ٦٠٠ شخص شهريا. وكان النظام أنكر الثورة، حتى أنه اعتبر التظاهرات العارمة، التي شهدتها ساحات مدينتي حمص وحماه، مجرد فبركات تلفزيونية، قبل أن يفضّها بالرصاص والدبابات، علماً أنه حال دون تمكين جماهير حلب ودمشق ودرعا واللاذقية من إيجاد ساحة لهم. وإلى هذا وذاك فقد سعى النظام لدفع السوريين في المناطق الحاضنة للثورة إلى ترك أحيائهم، وحتى تهجيرهم خارج البلد، ضمن استراتيجيته الرامية لإفراغ الثورة، بتقويض طابعها الشعبي، وذلك بتعمدّه تدمير الأحياء الشعبية، ومحاصرتها، وتعريضها للقصف المستمر.

ما يلفت الانتباه، أيضاً، أن النظام الذي أطلق من معتقلاته بعض منتسبي أو مناصري تنظيم «القاعدة»، والجماعات الدينية العنيفة والمتطرفة، في الأشهر الأولى للثورة، اشتغل في المقابل على إخفاء الناشطين الثوريين السلميين، الذين كانوا يقودون المتظاهرات، ويلهمون الناس بالشعارات، المتعلقة بالحرية والكرامة والديموقراطية.

هكذا كان نصيب مئات الناشطين القتل برصاص القناصة أو بهراوات الشبيحة أو التعرض للاعتقال، أو دفعهم إلى الخروج من البلد، وهو ما حصل بقتل الناشط من داريا غياث مطر وعديد من قادة المتظاهرات في دمشق وحلب وحمص وحماه ودرعا واللاذقية والرستن، وباعتقال كثر من أمثال مازن درويش (رئيس المركز السوري للإعلام وحرية التعبير)، والكاتب علي الشهابي، وبإجبار مئات من النشطاء للخروج الى المنافي.

في هذا الإطار، فقد اضطلعت الأنشطة الإعلامية بدور متميّز، إن في مواجهتها حال الانكار، والحجب، والتشويه، التي حاول فيها النظام محاربة الثورة، أو في سعيها لكسر حاجز الخوف، وإشاعة مظاهر التمرد والعصيان، بغرض تحرير الوعي الشعبي، والمجال العام، من احتلال النظام. وفي هذين الحالين استطاعت الثورة، لأول مرة، فتح الفضاء العام أمام السوريين، من خلال مناخ الحرية الذي أتاحته، وأيضاً من خلال هذه الورشة الهائلة والمدهشة للأنشطة الإعلامية التي حفلت بها، والتي انخرط فيها كتاب وفنانون ومصورون، مع أخذنا في الاعتبار الظروف الصعبة التي اشتغلوا فيها، في وضع كان فيه فيلم الفيديو على موبايل، يعرض صاحبه للقتل أو للإعتقال، وفي وضع كان فيه أي شخص يلتقط صورة، أو يرسل بريدا الكترونيا، كأنه يقوم بعملية انتحارية.

بالمحصلة، فقد اضطلعت مجموعة من الشباب الشجعان والرائعين، الذين يتوقون للخلاص والحرية، في سوريا مغايرة، بدور هو في غاية الأهمية، يتمثل بخلق التواصل بين السوريين، وفيما بينهم وبين العالم، في تحد لكل حواجز النظام العسكرية وأجهزته الاستخباراتية، وخبراته في القمع والحجب والتورية والتزييف والتلفيق.

والحال، ففي معمعان الثورة، نشط هؤلاء الشباب على شبكات التواصل الاجتماعي لسد الفراغ المتعلق بغياب التشكيلات السياسية، وبإنشاء التنسيقيات، والمواقع الإعلامية على الشبكة العنكبوتية، وتم انشاء بعض اذاعات FM، وثمة تجارب أقل لمحطات تلفزيونية.

ولعل التجربة الأكثر تمايزاً وإدهاشاً، من وجهة نظري، تمثلت في إصدار الصحف والمجلات، التي عرفت السوريين على كتابات جديدة، لكتاب شباب لم يكونوا معروفين من قبل، يطرحون أسئلة من خارج الصناديق المعروفة والمعهودة. وكانت تلك مفارقة لافتة حقاً، فسوريا التي كانت فقيرة في الصحافة، والتي ظلت لعقود

مقتصرة على ثلاثة صحف تشبه بعضها البعض (تشرين والبعث والثورة)، مع صحف محلية لبعض المدن، والتي كان كتابها، غير المحسوبين على النظام، يجدون متنفساً لهم في الصحافة اللبنانية والخليجية، باتت فجأة تعجّ بالحياة الصحفية ومليئة بالصحف والمجلات.

ولعل المقارنة في العمل الصحافي ما قبل وما بعد الثورة تبيّن الفارق الكمي والنوعي بين الحالين، وتبيّن كم كان السوريون يفتقدون لحرية التعبير، وللرأي الآخر، وتبين كم تم تضييع مواهب وطاقات لأجيال من الشباب في العقود الماضية، بسبب نظام الاستبداد.

هكذا، ففي غضون هذه الثورة، تعرّفنا على إعلام آخر، يضجّ بالحرية، وعلى شباب مليء بالحماسة، وبالنضج السياسي، وبالأسئلة الفكرية، حتى عناوين هذه المجلات والصحف بدت لافتة وجميلة ومعبرة. ففي غضون هذه الفترة، من عمر الثورة، بتنا أمام صحف ومجلات من مثل: «طلعنا عالحرية»، و(سوريا بدها حرية)و(شرارة آذار)، و(أوكسجين)، و(جسر) و(البديل)، و(ثوري أنا)، أو مثل (حنطة)، و(زيتون)، و(عنب بلدي)، و(ياسمين)، ثمة أيضا (شام) و(سوريتنا)، و(دمشق)، و(زمان الوصل)، و(تواصل)، و(عهد الشام) و(ضوضاء)، و(عين المدينة)، و(الغربال)، و(صدى الشام)، و(تمدن)، و(المسار الحر)، و(ولات)، و(صور)، و(بناة المستقبل)، و(طيارة ورق) (للأطفال).

كما يجدر التنويه إلى وجود مراكز دراسات، صدر عنها مؤلفات متميزة عن الواقع السوري، مثل (مجموعة الجمهورية للدراسات)، و(المركز السوري للدراسات السياسية والاستراتيجية)، و(مركز المجتمع المدني والديمقراطية)، و(مركز دراسات الجمهورية الديموقراطية). (مع الاعتذار عن أي سهو).

هذا واحد من أوجه الثورة السورية، المستحيلة واليتيمة والمدهشة، يستحق التقدير، ويؤكد بأنها ثورة ولّادة وواعدة، رغم كل ما ينجم عنها من تداعيات، وما يحيط بها من مشكلات، وما تواجهه من تحديات.

الأصوليات الإسلامية والفكر الديمقراطي في الثورة السورية

جمال الجميلي

الأصولية الإسلامية السياسية، بالتعريف العام، هي اصطلاح سياسي فكري مستحدث، تشكل وتطور ضمن سياقات تاريخية متغيرة، ويشير إلى نظرة متكاملة للحياة بكافة جوانبها السياسية والاجتماعية، والاقتصادية والثقافية، وتمثل الأصولية الإسلامية، تعبيرا تاريخيا عن واقع سياسي واجتماعي واقتصادي مأزوم، وهي نتيجة تفاعل بين عدة عوامل داخلية وخارجية، عبرت عن نفسها بالرجوع إلى فترة تاريخية من الماضي، ساد فيها الأمان السياسي والاجتماعي والمعيشي، ووجدت في ذلك الماضي نموذجا للمستقبل، وحلم يصور الماضي على أنه الحقيقة الثابتة والمكتملة، ويبني الحاضر على أساس من هذا التصور الشمولي والكلي، الذي يؤمثل نماذج ومفاهيم ومقولات من الماضي، ليشكل منظومة من القناعات المغلقة الراسخة والمتأصلة بالنفس والعقل.

تتألف عناصر الأصولية الاسلامية التي تقوم عليها الجماعة الدينية من:

الإيمان بالوحي كمصدر أساسي، وهو مرجعية النص، والاعتقاد الراسخ بالنص كحقيقة مطلقة ثابتة ويقينية لا تتغير ولا تتبدل، واعتبار النموذج النبوي وبعض من الصحابة والتابعين، نموذجا للعمل والسلوك المحدد بقواعد متينة ثابتة، يرجع مصدرها إلى النص والحديث، بالإضافة إلى عناصر أخرى تتفرع عن العناصر الأساسية، وتختلف نتيجة للاختلاف في بنية التشكيلات الاجتماعية والثقافية للجماعة أو المجتمع (تنوع المذاهب والاجتهادات)، وفي أن هناك حدودا وفواصل بين الأصوليات الإسلامية، يتجلى في اتخاذ هذه الأصوليات أشكال التعبير عن نفسها ورؤيتها للعالم و الآخر، وطرق عملها،مما يشير إلى أن هناك تمايزا في الشكل بين الأصوليات الاسلامية السياسية، من حيث العمل ووسائل التطبي، رغم أن المحمول الفكري واحد (النص – الشريعة) والغاية (الدولة الإسلامية).

كما نجد أن التمظهر العقيدي للأصوليات الإسلامية بأنواعها واحد بالأساس (الوحي – النص – النموذج النبوي والصحابي هي عناصرأساسية مشتركة، بين ما سمي أصوليين معتدلين، وآخرين متطرفين تجمعهم مقولات مُؤمثلة، وفكر متعال لكنه راسخ بالنفوس والعقول،كحقائق غير قابلة للدحض والتغير، وسلوك تشريعي سياسي مصدره مبدأ الحاكمية لله وحده).

ويتخذ الإيمان الديني في الأصولية صفة القانون الملزم، فهم يرفضون مبدأ الحاكمية الشعبية، والسيادة الشعبية، وحتى المعتدلون منهم، يزاوجون بين مفهوم الديموقراطية والشورى، وتظل الديمقراطية لديهم مجرد لعبة سياسية أي (صندوق اقتراع) للوصول للسلطة، معتمدين على مفهوم الأغلبية الدينية للجماعة، وحتى الاجتهاد محدود بضوابط رسمها النص والحديث للعقل المجتهد، وأي تجاوز هو خروج عن العناصر السابقة غير مسموح به.

اعتمادا على هذه المقدمة النظرية الموجزة، بقدر ما يسمح به حيز الورقة المقدمة، نجد أننا أمام تقاطعات وافتراقات، بين الأصوليات الإسلامية السياسية المتواجدة في الوطن السوري، واذا ما اتفقنا أن لكل أصولية إسلامية، وسائلها وأدواتها العنيفة الشديدة، أو السلمية الدعوية، للوصول إلى الغاية الأولى والأخيرة في تطبيق الشريعة وإقامة الدولة الإسلامية، نستطيع أن نقرأ شكل وطبيعة الصراع القائم بينها دون أن يغيب عن بالنا أن الأصوليات الإسلامية الراديكالية تتشكل في كلا المذهبين السني والشيعي، فمن حيث التوجه السياسي والاجتماعي، يحاول كل مذهب نشر أفكاره وسيطرته على فضاء جغرافي، وإقامة دولته الدينية والمذهبية، تحت شعار واسع هو الدولة الإسلامية، أو الجمهورية الإسلامية، ساعياً كل اتجاه مذهبي إلى استقطاب الشعور الديني، واستفزاز الذات الاسلامية المجروحة التي تحمل في اللاوعي الديني شرخها التاريخي القديم بين كلا المذهبين.

إن توضيح بعض النقاط النظرية، وكذلك التعرض

لبعض المسائل التي من المحرم الاقتراب منها، هو ضرورة معرفية، ويعود ذلك لسببين: أولا لا يجوز التحدث عن القضايا الدينية باعتبارها مقدسات،ولا يسمح بالنظر إليها بعيون وعقول مفتوحة، مع العلم أن تلمسي لهذه القضايا النظرية هو شرح للأسس الفكرية والقناعات التي ترتكز عليها الأصوليات الإسلامية، دون الدخول في تفاصيل هذه القناعات، وكيفية استثمارها في الثورة السورية.

ثانيا: لأن الكثير من اليساريين والقوميين وحتى الليبراليين، وبسبب ثقافتنا وشعاراتنا الديماغوجية التقدمية الهشة والسطحية، يتصورون أننا تجاوزنا الماضي، لأننا ماركسيون أو قوميون أو ليبراليون، لكن الواقع القائم على الأرض السورية، أثبت ضعف فهمنا ورداءة قراءتنا، إن عدم مواجهة المشروع الأصولي الإسلامي السياسي، بمشروع وطني ديمقراطي علماني يؤسس لحالة من الفهم الجديد للوطن والمواطن، أخذ الثورة إلى مناخات بعيدة، عن المشروع الوطني الديموقراطي لبناء الدولة القانونية الحديثة.

بالعودة الى الأرض السورية، وحالة الصراع القائم بين الحركات الاسلامية الأصولية، أولاً: القتال بين الحركات الأصولية الإسلامية من كلا المذهبين، نرى أن الحالة العنفية والتكفيرية هي السائدة بين المتقاتلين بين الطرفين، وليس هناك فرق في الوسائل القتالية العنيفة والشاذة المستخدمة، وهذا ما عملت عليه واستثمرته أجهزة النظام الأسدي بامتياز، مستغلة الحالة الاسلامية للمجتمع السوري، وقد اتخذ النظام الاسدي ذو الطبيعة المذهبية وجماهيره الرعاعية، شكلا مذهبيا مستغلاً بخبث سياسي ووقاحة طائفية، كل أشكال التعاطف المذهبي معه، مستقطباً جماعة دينية على أخرى، محولا الصراع مع المجتمع إلى صراع مذهبي، مفتوح على الخراب والدمار للوطن والإنسان، مما أدى إلى انحراف الثورة والحراك الاجتماعي المدني عن المسار الأساسي والمطالب الأساسية في الحرية والديموقراطية وحقوق الإنسان. لقد استطاع النظام الأسدي نقل الصراع بينه وبين المجتمع من مفهوم المقاومة الشعبية إلى مفهوم الجهاد الديني، مما سمح بدخول المجتمع بحالة من الهذيان الديني، وسمح باستقطاب المقاتلين من كلا الطرفي، مما أضعف وقضى على الحالة المدنية للمجتمع

السوري والثورة السورية .

ثانياً: أخطر أشكال الصراع والاقتتال هي بين الأصوليات الإسلامية من أصحاب الاتجاه المذهبي الواحد، المعادي للنظام الأسدي، رغم محاولة هذه الحركات تشكيل ما يسمى جبهات إسلامية، تجمع عدة فصائل مقاتلة تحت تسميات مختلفة، إلا أن تعدد هذه الجبهات وتنوع مصادر دعمها وتمويلها، بالإضافة لطبيعة التشكيل الاجتماعي والذهني والعشائري أو المناطقي لبعض الفصائل المنضوية تحت لواء هذه الجبهات، وكذلك وجود فصائل وكتائب عديدة ما زالت منفصلة عن الجبهات المتعددة، والجميع يستند إلى مفهوم الجهاد والغزوة والغنيمة، الذي يحكم الذهنية القتالية مما يتضمن الكثير من المخاطر، وتجلى ذلك في اقتتال الفصائل مع بعضها، واتهام بعضها البعض بالفساد والعمالة

إن انسحاب الفكر السياسي الديموقراطي العلماني من الساحة السياسية، أفسح المجال لفكر ماضوي منغلق، للسيطرة والتسيد والقيادة، وترك المجال للدول الإقليمية الحاملة لأجندتها السياسية الضيقة ومصالحها في السيطرة والاحتواء، وتحديد مسار الثورة.

ويحمل الكثير من المسؤولية السياسيون والمعارضون الديموقراطيون واليساريون والليبراليون والقوميون، الذين اعتبروا أن المهام قد أنجزت، برفع شعارات مضطربة ومشوشة ومهادنة للتيار الإسلامي، والتسابق فيما بينهم على مصاحبة الأصوليات الإسلامية، وتقديم خطاب سياسي يعلي من شأن الأصوليات، ومحاولة إيجاد كل الوسائل المفهومية المغلوطة لتبرير سلوكهم، معللين ذلك بحجج متعددة، على سبيل المثال لا الحصر (عدم اقصاء الآخر)، بينما هم يخشون من إقصاء أنفسهم، لتناسيهم مشروعهم الديموقراطي العلماني، لاهثين وراء منافعهم السهلة وامتيازاتهم القادمة حسب تصورهم، ومثال آخر: مفهوم العلمانية، اختفى هذا المفهوم من الفكر والخطاب السياسي، وأصبح شتيمة وتهمة معيبة، رغم أن العلاقة بين الديموقراطية والعلمانية، هي ضرورة موضوعية وليست منطقية، والديموقراطية بدون العلمانية هي دمقراطية هشة وعجراء، والعلمانية دون الديموقراطية هي عماء واستبداد، ومثال آخر في عدم رغبتهم أو قدرتهم على التفريق بين مفهوم الدولة الإلحادية المرفوض بالمطلق، والدولة العلمانية، مما أضعف من مفهوم الدولة الحديثة القانونية، ومثال آخر: عدم التمييز بين المجتمع الديني، والمجتمع المتدين، وكذلك الحديث عن التجربة التركية على أنها نموذج يحتذى متناسين أن الدستور التركي ينص وبشكل واضح في مقدمته على أن (الجمهورية التركية دولة ديموقراطية علمانية) وأن العسكر التركي قبل المرحلة السياسية الديموقراطية القريبة لتركيا، يختلف في بنيته الاجتماعية والذهنية ونشأته التاريخية، وسلوكياته المنضبطة وعلاقاته الخارجية، عن العسكر الأسدي في تكوينه الطائفي وذهنيته المتصدعة ونشأته المخابراتية، وسلوكياته الأمنية المنفلتة، والكثير من التمايزات الأخرى.. لكننا تعودنا أن نتلقف الشعارات والتسميات والمفاهيم دون سبر تاريخي،ومنهجية في البحث الفكري الاجتماعي والسياسي، مما أدى إلى إغلاق الحقل السياسي.

إن من ميزات الثورة السورية وفضائلها انكشاف القديم، وهو دليل يؤكد أهمية التحولات الاجتماعية والسياسية الجارية في المجتمع السوري، ويؤكد على أهمية مواجهة المشروع الأسدي التدميري، وكذلك مواجهة المشاريع الأصولية الإسلامية بكل أشكالها، بمشروع وطني سياسي ديموقراطي علماني، أسسه فكر حداثي يؤمن بالحرية وحقوق الإنسان كاملة دون انتقاص لكل السوريين، إسلاميين متدينين أو علمانيين أو يساريين أو ليبراليين أو قوميين، لكل واجباته ولكل حقوقه السورية المكفولة، بإقامة الدولة الديموقراطية العلمانية الحديثة.

جدلية العسكرة والتنمية – الاقتصاد السوري أنموذجاً – حلقة (٤)

د.عبدالله الفراتي

كنا قد تناولنا في الحلقة الماضية تاريخ العسكرة في سوريا والتطور التاريخي لعسكرة الاقتصاد السوري وتطويعه لآلة الحرب على مدى عقود من الزمن، كما تناولنا بشيء من التفصيل الكلفة التقديرية للمجهود الحربي الذي أنفق في سبيل قمع الثورة، وسنحاول في هذه الحلقة الأخيرة تسليط الضوء على الآثار الاقتصادية والاجتماعية التي خلفتها عسكرة الاقتصاد السوري على المجتمع وأفراده انطلاقاً من السنوات الثلاث الأخيرة التي شكلت عمر الثورة السورية .

بدءاً لا بد أن نتعرف على منحنى اقتصادي شهير يعالج هذا الموضوع بالذات يسمى gun butter curve وهو يعبر عن علاقة عكسية تربط بين اختيارات الاقتصاد الوطني، فهي تصور الاقتصاد على مفترق طريقين، إما أن ينتج الزبدة (وهي تعبير عن التنمية والإعمار) أو أن ينتج السلاح (وهو تعبير عن المجهود الحربي)، ولذا فإن إنتاج أحدهما سيعني بالضرورة التوقف عن إنتاج الآخر، أو تخفيضه على الأقل.. بإسقاط هذا المعنى على واقع الاقتصاد السوري بعد ثلاثة أعوام من الثورة، سنجد دون كثير من العناء والتدقيق، أن آلة العسكرة الهمجية قد أذابت كل الزبدة المتراكمة عبر عقود من التنمية المتواضعة أصلا، وحولت الاقتصاد السوري إلى اقتصاد حربي يقوم بالحرب ويخدمها متربعاً على بحار من «الزبدة الذائبة».

يكفي أن نعلم أن ما يقارب ستة ملايين سوري عاطلون عن العمل نتيجة الحرب، كما فقد قرابة المليون ونصف المليون أعمالهم للسبب ذاته وهؤلاء يعيلون ما لا يقل عن ستة ملايين شخص بين نساء وأطفال وشيوخ، أما الذين أسعفهم كثير من الحظ ووجدوا عملاً فسيجنون أجراً لا يتجاوز متوسطه ١٤٠ دولاراً أمريكياً في الشهر الواحد وهذا في أحسن الاحوال، كما أشارت بعض الدراسات إلى أن معظم العاطلين عن العمل هم من ذوي التحصيل العلمي المتدني نسبياً فمعظمهم لا يحمل أكثر من شهادة ابتدائية أو ثانوية في أحسن الاحوال، ولذا فلنا أن نتصور صعوبة إيجادهم لعمل، أو أن نتصور طبيعة ذلك العمل الممكن أن يعملوا فيه لو وجدوه، كما دخل مع بداية العام ما يقارب الأربعة ملايين سوري خط الفقر المعروف، نصفهم في خطر الفقر الأشد، إضافة لنحو ٤٤٪ من الشعب كانوا واقعين أساساً تحت خط الفقر مع بداية عام ٢٠١١، فإذا ما أضفنا إلى ذلك معدلات التضخم العالية وغلاء المعيشة والارتفاع الجنوني للأسعار الذي عصف ويعصف بالاقتصاد السوري، نكون أمام كارثة صامتة بكل ما تعنيه الكلمة من معنى، ذلك أن مؤشرات قوة العمل تعتبر المدخلات الأكثر أهمية في إجراء المقارنات وإعداد الخطط التنموية بآجالها المختلفة القصيرة والمتوسطة والطويلة المدى، في المجالات الديموغرافية والاقتصادية والاجتماعية على نحو سواء، وهو ما سيشكل مستقبلاً حجرة عثرة وعائقاً مباشراً يضاف إلى تكلفة التنمية وإعادة الإعمار .

بالرجوع إلى سجلات المكتب المركزي للإحصاء ونشراته المتعددة ومنذ بداية العام ٢٠١١ كان دخل المرأة السورية العاملة ١٥٩١٥ ليرة سورية، مقابل ١٣٦٩٧ ل.س للرجل العامل، وبلغ متوسط دخل السوري ١٤٠٦٩ ل.س عام ٢٠١١ علماً أن ما يقارب ٣٠٠,٠٠٠ شخص يدخلون في حسابات قمة العمل سنوياً منذ عام ٢٠٠٥، ومعظمهم من الذكور، حيث تناقصت أعداد العاملات منذ ذلك التاريخ، وصولاً لبداية الثورة، وقد توزعت نسب العاملين حسب مسح المكتب المركزي للإحصاء (ووفقاً لأرقامه)بـ ٤,٤٪ أصحاب عمل، و٢٩,٨٪ يعملون لحسابهم و٦٢,٦٪ يعملون بأجر، و٣,٢٪ يعملون دون أجر. كما بينت دراسة أخرى أن متوسط مدة البحث عن العمل في سوريا هو ٢٣ شهراً للإناث و١٩ شهراً للرجال وهم في معظمهم غير خاضعين لأي دورات تدريبية وذوي مستوى تعليمي منخفض نسبياً منهم ٤٠٪ يستعينون بالأهل والأصدقاء فيما يلجأ ٢٦٪ إلى مكاتب التشغيل وأكثر من ٨٠٪ من المتعطلين يحبذون العمل في القطاع العام ونحو ١٣٪ منهم يعتبرون العمل الذي يوفر دخلا مرتفعاً هو الأنسب، وتتسم ٥٦٪ من شواغر الشركات بأنها صعبة الملء لعدم توفر المهارات المناسبة في سوق العمل، وأقل من ٣٣٪ من الشواغر يشغلها حديثو التخرج، كما يشير لذلك تقرير لجمعية رجال وسيدات الأعمال السورية.

وهذا يعود بنا إلى البداية الخاطئة التي أنتجت لنا هذه النهاية الخاطئة، فالأساس يكمن في مدخلات العملية التعليمية ومخرجاتها، فالانفصال الواضح بين مخرجات العملية التعليمية الهزيلة أساساً، ومتطلبات سوق العمل المرتفعة نسبياً، يطرح المزيد من التساؤل على التصريحات الكثيرة المتبجحة لوزارة العمل والشؤون الاجتماعية، على وجه الخصوص، فطوال عقد من الزمن صُمَّت آذاننا لكثرة ما أعلنت عن برامجها لتأهيل الموارد البشرية السورية، عبر اتفاقات دولية ومحلية وبميزانيات جاوزت مئات ملايين الليرات، لكنها لم تنعكس لا على حياة المجتمع السوري ولا على اقتصاده حتى، مع استيفائها لآجالها مثبتة فشلها الذريع، ولا أدل على ذلك من مشروع

قرض البطالة وتمويل المشروعات الصغيرة والتي كانت حبراً على ورق، وتسببت في هدر مليارات الملايين دون فائدة تذكر، في وقت ركزت الوزارة فيه عبر برامجها على القائمين بالأعمال المهنية والحرفية لرفع كفاءتهم الإنتاجية، في حين أهملت حملة الشهادات المتوسطة والجامعية، ما أفرز كتلة هجينة في قوة العمل تتميز بتعليم عالٍ وتعتمد أعمالاً ذات مجهود عضلي لا يتناسب وكفاءاتها العلمية، قد تضطر في بعض الأحيان أن تعمل لما يقارب ١٦ ساعة عمل كاملة يومياً. ووفقاً لتقرير أصدره المركز السوري لبحوث السياسات تناول خسائر الاقتصاد السوري جراء الأزمة لعام ٢٠١٢ وحده، فقد ارتفعت نسبة البطالة وفقاً للتقديرات الأولية إلى ما يقارب الضعفين ونصفاً عن العام المنصرم، حيث سجل معدل البطالة ٣٤,٩٪ لعام ٢٠١٢ مقابل ١٤,٩٪ عام ٢٠١١.

وليس غريباً أن لا نجد تلك الأرقام والمؤشرات المخيفة في تقارير مؤسسات النظام وهيئاته الاقتصادية، فهي تعكف أساساً على تمجيد السياسات الاقتصادية والاجتماعية التي ينتهجها النظام، وتجميل صورتها المشوهة، وابتكار الأعذار والمبررات للتدهور المتنامي للمستوى المعيشي للمواطن السوري، الذي لا يكاد يصدق أن المكتب المركزي للإحصاء لا يجد أن مستوى التضخم في الاقتصاد لا يتجاوز الـ١٠٪ في حين سجلت معظم السلع ارتفاعاً لنحو ٢٠٠٪ وقد بلغ في بعضها نحو ٥٠٠٪. نعم ليس ذلك غريباً في تقارير «اقتصادية» ليس بوسع معديها سوى تلقي المؤشرات والبيانات، لا من واقع الاقتصاد والقطاعات الاقتصادية بل من «أقبية التنمية» وفروع «الأمن الاقتصادي»!.

وليس في وسع أي اقتصاد في العالم يعيش على وقع الأعمال العسكرية اليومية والقصف الجوي والصاروخي على مدار الساعة، ألا يصاب بالشلل الوظيفي ويصل لحالة الإنكار لكونه اقتصاداً، فإغلاق أو تدمير آلاف المعامل والمنشآت الاقتصادية نتيجة الحرب، ألقى بمئات آلاف السوريين خارج نطاق الخدمة، وجفف مصدر دخلهم الوحيد رافعاً نسبة البطالة إلى نحو ٥٠٪، وقارعاً لجرس إنذار غاية في الخطورة مفاده أن نسبة التوظيف للخريجين الجدد ستكون ٠٪

المصرف التجاري السوري

وبكلام آخر فإن نسبة ١٠٠٪ من قوة العمل الشابة الوافدة حديثاً إلى سوق العمل، ستكون خارج الخدمة، ما ينذر بجيل من الضياع ويشكل تهديداً مباشراً للنسيج الاجتماعي السوري الذي سيكون سوريا القريبة.

من جهة أخرى فقد سجل العجز في الميزان التجاري بين الصادرات والواردات رقماً من نوع آخر خلال عمر الثورة، فمن المعلوم للاقتصاديين أن عجز الميزان كان نحو ثلاثة مليارات دولار قبل الثورة، حيث كانت نسبة الواردات تفوق الصادرات بنحو ٣٥٪ وكان يعوض ذلك العجز من خلال ارتفاع أسعار النفط بما يدخل للموازنة رقماً قريباً من ذلك الرقم، فيتبجح عندها النظام اقتصادياً بميزان تجاري يسميه «رابحاً»، لكن مع بداية الثورة وتضاعف الإنفاق العسكري والعقوبات الاقتصادية التي أفقدت النظام أسواقه الرئيسة في أوربا الغربية على وجه الخصوص، كان لا بد من تغير تلك التوليفة التجارية، فانتقلت الدول المستوردة من سوريا إلى طرف الدول المصدرة لها، وتعتبر إيران في ذلك استثناءاً وحيداً لسباب معروفة للجميع، ما جعل العجز التجاري يفوق أرقام الاستقرار بأضعاف .

وأما بالنسبة لميزان المدفوعات فيكفي أن نعلم أن النظام قد منع أي نشرة رسمية تحدد واقع الاستيراد والتصدير من عام ٢٠١١، وهو ما يشي برقم سلبي خطير، أشار إليه مركز بحوث الدراسات في دراسة قدرت عجز ميزان المدفوعات بنحو ١٦ مليار دولار، مولها مباشرة احتياطي القطع الأجنبي لدى المصرف المركزي، في حين يرى آخرون أن عجز ميزان المدفوعات وفقاً لهذا الرقم يبلغ ٢٩٪ من إجمالي الناتج المحلي، خصوصاً مع توقف النفط، وشلل الحركة الصناعية والتجارية، وتراجع الاقتصاد عموماً وأن العجز لم يغط بالاحتياطي الأجنبي بل بالطرق الأكثر سهولة من خلال طباعة العملة، يضاف إلى ذلك وجود قرض إيراني بـ ٥ مليارات شكل لوحده ما يقارب ٩٪ من الناتج المحلي الإجمالي، دون ذكر أي تفاصيل حول العقد، وما يجعل البلاد في طريق مفتوح نحو رقم قياسي لخدمة الدين العام الذي تخطى حاجز الـ ٣٥٪ وهو معيار صندوق النقد الدولي منذ زمن بعيد .

والغريب أن المستفيد الوحيد في تلك الفروقات في الأسعار وكل تلك التطورات الاقتصادية والاجتماعية السلبية هو النظام نفسه، حيث بقي بمنأى عن مآسي الشعب الذي أخذ يعاني الأمرين فقط لتحصيل لقمة العيش بل حتى لتحصيل نصفها في ظل التضخم الذي قارب نسبة الـ ٥٠٪، وانهيار قيمة الليرة السورية، حتى سجل الدولار أكثر من ١٤٣ ليرة، قياساً بـ ٤٥ ليرة قبل الثورة، ولا يقف النظام عند هذا الحد بل يتعدى إلى مخزونات القطع الأجنبي ومدخرات الشعب الخاصة التي تمر عبر أجهزته الحكومية، فلا أدل على ذلك من إجراء اتخذه مصرف سوريا المركزي في ٢٠١٣/٥/٢٣، يطلب بمقتضاه من البنوك وشركات الصرافة المعتمدة، صرف كافة التحويلات الأجنبية للسوريين من خارج سوريا، بالليرة السورية حرصاً منه على رصيده من القطع الأجنبي، والكارثة أن عملية الصرف تتم بالسعر الرسمي للدولار الذي يعلن عنه المركزي، ولذا فإن الفرق يخسره المواطن البائس بين سعر المركزي وسعر السوق، وليس ذلك سوى سرقة منظمة تتم عبر شبابيك بلورية وبربطات عنق ،بدلاً أن ينشل ذاك المال في عرض الطريق .

لها الله تلك الثورة وله الله ذاك الشعب الذي بقي بصموده الرقم الوحيد الثابت في كل تلك المعادلات المتغيرة .

منظمة الصحة العالمية تؤكد تفشي مرض شلل الأطفال في سوريا

مترجم عن جريدة The Washington Post

ترجمة عمر الأمين

صورة المقال الاساسي

جمال سعيدي/ رويترز:

لاجئة سوريّة تساعد أخاها الذي تقول عائلته بأنه مصاب بشلل الأطفال، في تجمع يقع داخل مسجد في شبعا– لبنان. نتيجة للأخبار المتداولة عن تفشي شلل الأطفال في سوريا، فقد أعلن لبنان هو والبلدان المجاورة له عن برامج طارئة للقيام بالتلقيح.

بيروت (رويترز): تقول منظمة الصحة العالمية إنها قامت بإجراء فحوصات طبية لعشرة أطفال، وكانت النتائج إيجابية، مما أثار مخاوف من انتقال العدوى في وسط الهجرة الجماعية وانهيار الخدمات الصحية وظروف النزاع الدائر في سورية.

حذر مسؤولو الصحة من مخاطر كبيرة لانتشار الأمراض المعدية للغاية، بعدما تأكدت حالات الإصابة في المنطقة الشرقية من دير الزور.

بالإضافة إلى تلك الحالات، أضاف المسؤولون أن ١٢ طفلا تظهر عليهم أعراض الشلل ينتظرون نتيجة الاختبار، وهذا يعني أن آلاف الأطفال الآخرين من الممكن أن يكونوا مصابين لمجرد وجود نسبة ١ من ٢٠٠ طفل مصاب.

وقال **بروس أيلورد (مساعد المدير العام لشلل الأطفال وحالات الطوارئ في منظمة الصحة العالمية)** إن حالات الإصابة المؤكدة ليست سوى غيض من فيض، لكنها يمكن أن تتضخم.

سنتان ونصف من الصراع الطويل في سوريا، خلقت الظروف المثلى لانتشار الأمراض المعدية، و تدمير نظام الرعاية الصحية في البلاد وتعطيل برامج التلقيح الروتيني.

حذر العاملون في مجال الصحة من أن الظروف غير الصحية التي يعيش فيها ملايين النازحين السوريين تشكل مرتعا خصبا للأمراض مثل شلل الأطفال، والتي تنتقل عن طريق الغذاء الملوث أو إمدادات المياه، مع ما يصل إلى ٤٠٠٠ لاجئ يفرون من البلاد كل يوم، خطورة انتشار المرض هي أزمة خطيرة.

وأضاف بروس إيلوارد أنه وقت ملائم للقضاء على فيروس شلل الأطفال، فهذه ليست مشكلة سوريا وحدها، هذه مشكلة الشرق الأوسط، والتي سوف تتطلب استجابة العديد من الدول الكبرى.

هذا ما جرى بالفعل، فقد قامت سبع دول في المنطقة، بما فيها سوريا والأردن وتركيا ولبنان، بالبدء ببرامج التلقيح الذي سيشمل ٢٠ مليون طفل خلال الشهرين المقبلين، بالإضافة إلى جولات التلقيح في المناطق الأكثر تعرضاً للأمراض.

لقد كان مرض شلل الأطفال هذا يفتك بما يقارب ١٠٠٠ طفل يومياً حول العالم، عندما بدأت كل من منظمة الصحة العالمية وحملة روتاري واليونيسيف بالعمل على محاربة المرض منذ ٢٥ سنة. على الرغم من انخفاض الحالات بنسبة ٩٩٪، لكن الضغط الذي حصل مؤخراً شكل تحدياً كبيراً.

المرض الذي يصيب عادة الأطفال الذين تقل أعمارهم عن ٥ سنوات، ممكن أن يسبب الشلل الدائم في غضون ساعات، وبعض الحالات قد تؤدي إلى الموت، فهي تجمد عضلات الجهاز التنفسي، وليس لها علاج معروف حتى الآن.

الحالات المؤكدة في سورية هي الأولى من نوعها في البلاد منذ ١٤ عاما، ومعظم إصابات الأطفال الذين تقل أعمارهم عن سنتين تلقوا الإصابة بعد بدء النزاع في أوائل عام ٢٠١١، وتم تلقيحهم جزئيا حيث لم يتلقوا لقاحهم بشكل كامل.

بلغ معدل الحصانة والمناعة في البلاد ٩١ ٪ عام ٢٠١٠، وانخفض إلى ٦٨ ٪ اليوم، وفقا لمنظمة الصحة العالمية، وسط الحرب التي استهدفت المرافق الصحية.

وقالت رئيسة الشؤون الإنسانية بالأمم المتحدة فاليري آموس في مقابلة في واشنطن يوم الاثنين: «لقد فرّ الأطباء والعاملون في مجال الرعاية الصحية في البلاد بأعداد هائلة، ومن بقي منهم ما زال يعمل تحت التهديد أو بدون إمدادات، نظرا للدمار الذي حل بالمستشفيات والمراكز الصحية, والذي سببه كلا الطرفين المتنازعين».

وأضافت: «إن التلوث سببه تدمير مرافق معالجة المياه والمحطات الكهربائية وغيرها من البنى التحتية».

ومن غير المعروف كيف أحيل شلل الأطفال إلى سوريا، وحاليا يجري اتخاذ اختبارات التسلسل الجيني لتحديد منشأ اندلاع المرض. ويظهر من بوادر المرض أنه يمكن إرجاعها إلى باكستان، تم الكشف عن السلالة الباكستانية في العينات البيئية في مصر وإسرائيل.

وفقا لعمال الإغاثة، الذين يضغطون من أجل تحسين وصول المعونات عبر الحدود مع اقتراب فصل الشتاء فإن شلل الأطفال ليس هو المرض الوحيد الذي يسبب القلق في سوريا، توجد أيضا حالات التهاب الكبد والسل والحصبة وهي في ارتفاع.

وقالت آموس «إن ما لا يقل عن ٢٠٠٠ مجموعة تقاتل في سوريا، وإن العاملين في المجال الإنساني للأمم المتحدة لم يتمكنوا من الوصول إلى ما يقارب ٣ ملايين سوري في حاجة، فهم يمنعون من السفر إلى بعض المناطق عن طريق البر عند نقاط التفتيش الحكومية أو المعارضة».

أكثر من ٣٠٠,٠٠٠ من المحتاجين أيضا في ما تسميه آموس «المجتمعات المحاصرة»، التي يحتلها

مقاتلون من جانب واحد، تم فيها منع المدنيين من المغادرة ومنع أيضا دخول الغذاء والرعاية الطبية.

وتابعت آموس قائلةً: الجزء الأكبر من المدنيين المحاصرين في إحدى ضواحي دمشق الشرقية تحيط بهم القوات الحكومية منذ بداية العام الماضي، وكانوا مستهدفين في قصف الأسلحة الكيميائية في أغسطس. ولكن في أماكن أخرى، مثل حلب في الشمال، فإن المتمردين يعرقلون وصول المساعدات، مع القتال شبه الدائم فإن أعداد المحتاجين سوف ترتفع أضعافا مضاعفة في الأسابيع والأشهر القليلة المقبلة.

شعاع من الأمل جاء حين تم اجلاء مئات السكان من المعضمية، وهي منطقة يسيطر عليها المتمردون جنوب غرب دمشق التي كانت تحت حصار القوات الحكومية لمدة عام تقريبا، في صفقة توسطت فيها حكومة الرئيس بشار الأسد والأمم أغنيس، وهي راهبة كانت من مؤيدي بشار الأسد منذ بدء الانتفاضة.

وقال نشطاء وأطباء ميدانيون إنهم حاولوا الإخلاء في وقت سابق عندما سقطت القذائف في المنطقة، حيث قام المدنيون بانتظار الحافلات. قتل شخص واحد، على حد قولهم، وترك العديد مع تحذيرهم من عدم القيام بأي محاولة أخرى، مع ذلك، ظن الكثيرون أن المعضمية لم تعد قادرة على البقاء، وسجلت فيها ١١ حالة وفاة بسبب سوء التغذية.

وقال قصي زكريا وهو أحد نشطاء المعارضة في المعضمية إنه تم إجلاء ٨٠٠ امرأة وطفل، لسوء الحظ، لم يكن يوجد لسكان المنطقة سوى اتخاذ هذا القرار، لقد فشل العالم كله في الحصول على قطعة من الخبز لشعب المعضمية، شهدنا كل أنواع الموت على يد الأسد، حتى غاز السارين، لكننا لا يمكن أن نقف بوجه الجوع.

يأتي الإخلاء وسط حملة دبلوماسية لتأمين وصول إنساني أفضل إلى سوريا قبل مؤتمر السلام المقرر في جنيف الشهر المقبل، على أمل أن التحسينات قد تشجع المعارضة على المشاركة.

تعين المحادثات المقررة قبالة موجة من الدبلوماسية، مع الأخضر الإبراهيمي، مبعوث الأمم المتحدة والجامعة العربية إلى سوريا، وزيارة دمشق هذا الأسبوع لدعم الحضور والأنشطة والاجتماعات خارج البلاد من دون تنسيق مسبق مع الحكومة، حسبما ذكرت وكالة الأنباء السورية التي تديرها الدولة، ومع ذلك، يوجد محاور واحد وهو قدري جميل، نائب رئيس الوزراء السوري.

أكدت وزارة الخارجية ان جميل كان قد التقى في جنيف يوم السبت مع الدبلوماسي الأميركي روبرت فورد، كان جميل طلب الاجتماع به بعض الوقت وأوضحت انه يتحدث عن نفسه فقط وليس بأي صفة رسمية، وفقاً لمسؤول كبير في إدارة أوباما، لم يكن مخولا لمناقشة هذه المسألة في السجل.

وقال جميل، الذي هو جزء مما يطلق عليه اسم «المعارضة الوطنية» لفورد انه يريد أن يكون في وفد المعارضة لمحادثات جنيف، وقال السفير فورد إنه يجب عليه التحدث إلى ائتلاف المعارضة السورية، وليس إلى فورد.

وقال المسؤول إنه لم يتضح بعد ما إذا كان جميل، كما قيل قد سافر إلى موسكو من جنيف، كما قالت الحكومة، أو استقال أو انشق.

إعلاميو الثورة السورية يواجهون الجهاديين

بقلم: إيما بيلز عن موقع (فايس) بتاريخ ٩-١٢- ٢٠١٣

ترجمة: زين. ف.

عندما كان رامي رزوق يتنقل بين الرقة والطبقة في الشمال السوري تم خطفه من على حاجز تابع لـ(داعش)، إحدى أفرع القاعدة، بينما كان في طريقه لإعداد مقابلة كجزء من عمله الصحفي في رادايو (انا). استخدمت داعش مفتاحه لمداهمة المبنى في وقت متأخر من نفس اليوم، بعد أسبوعين من الحادثة، فاقتحمت المركز مجددا وصادرت جميع الأجهزة والمعلومات. على ما يبدو، لا توجد مساحة للصحافة الحرة في دولة الخلافة الاسلامية، التي تحاول (داعش) إيجادها.

جمعية (انا) الإعلامية الجديدة (الشبكة التي تقف خلف الإذاعة)، قررت المضي إلى النهاية في المواجهة مع المتطرفين الذين لديهم استراتيجيات واضحة لمنع حرية الصحافة وفرض الرقابة على الشعب السوري.

بينما تتابع داعش قمعها للمشهد الإعلامي الوليد في الشمال والشرق السوري، تعهد راديو (انا) بإثارة عاصفة من الاحتجاجات، سياسة سيتم اتباعها في كل مرة يتم فيها استهداف ناشط أو صحفي من المتطرفين، وهذه خطوة شجاعة من قبل فريق راديو (انا)، مع أن داعش قامت بقطع رؤوس الكثير من أعدائها، وحصل في وقت سابق أن اعتذرت عن قطع رأس مقاتل ينتمي لأحد التنظيمات الحليفة، عن طريق الخطأ!.

يوم الاثنين الماضي، أطلقت الشبكة حملةً تدعمُها ٢١ منظمة للإعلام السوري و ٥٠ منظمة دولية تشجع النمو المستمر في الصحافة السورية، وصدر بيان عن الحملة طالب بالإفراج الفوري عن جميع

محمد السعيد مواطن صحفي تمت تصفيته من قبل بعض الجماعات الجهادية في حلب

الصحفيين والمواطنين الصحفيين المحتجزين لدى النظام أو (داعش) أو أي مجموعات أخرى، والموقعون دعوا جميع وسائل الإعلام الدولية، وتلك الداعمة لحرية الصحافة للانضمام إلى هذه المبادرة، واتخاذ الإجراءات ذات الصلة بسلامة الصحفيين وحرية التعبير في سوريا.

تكلمتُ مع السيد (رامي الجراح) المدير المساعد عن راديو (انا)، عن حجم المشكلة التي تواجه الصحفيين المحليين، وقال: أعتقد بأنه لم يتبق أي ناشطين صحفيين في مدينة الرقة الآن، وأضاف أن في الشمال السوري ما يقارب ستين حالة اختطاف موثقة للصحفيين من قبل (داعش)، وقد زاد الحصار في الشهرين الأخيرين.

ويقدر الجراح أن هناك حوالي ٢٠٠ ناشط إعلامي وصحفي تم اختطافهم منذ أول الثورة من قبل النظام السوري، وحسب تقديرات منظمة (مراسلون بلا حدود) التي تدعم الصحافة، يقدر العدد بـ ٦٠، ولكن هذه الإحصائية لا تعد شاملة، لأنها لا تتضمن حالات يخشى أصحابها من تبعات التواصل مع الصحافة الحرة.

الرقة بكاملها الآن تحت سيطرة مجموعات إسلامية متعددة، كل من تبقى من عناصر الجيش السوري الحر بالمدينة بايعوا جبهة النصرة، وهنالك أيضا مجموعات متطرفة أكثر، انشقت عن جبهة النصرة وبايعت داعش، وبنهم شديد فرضوا آراءهم على السكان، مع تشجيع النساء على ارتداء النقاب الكامل، ويتم التعامل مع المعارضين بقسوة.

تأسس راديو (انا) في أوائل عام ٢٠١٢، وذلك بهدف الدفع بـ(صحافة المواطن) داخل سوريا. لقد بثوا برامجهم على الإنترنت لما يقارب السنة، قبل أن يقرروا التوجه للطريقة المثلى للوصول إلى الناس داخل البلد التي تعاني من النزاعات، فقد تم البث على تردد أف أم، وحسب الجراح: منذ ما يقارب الثلاثة أشهر ونصف أطلقنا أول تردد أف أم في الرقة، الرقة مدينة محررة منذ شباط من هذا العام ولكن خلال الأشهر القيلة الماضية وقعت تقريبا بشكل كامل تحت سيطرة (داعش).

سعى راديو (انا) للحصول على إذن عمل من لجنة الشريعة الإسلامية المحلية (الهيئة الشرعية)، وقد اشترطوا عدم بث الموسيقا أو البرامج السياسية، وقد وافقوا على هذه الشروط، فقط كي يتمكنوا من إيصال المعدات اللازمة إلى المدينة، وعندما أحضروها إلى المدينة أقاموا المحطة في مكان سري، وبدؤوا ببث مجموعة من البرامج التاريخية (ماذا حدث حقا) والأخبار والخدمات العامة والمعلومات (من أين نحصل على الخبز والغاز) والبرامج الفكاهية، وبثوا أيضا تفاصيل عن احتجاجات المجتمع المدني.

الغروب في قرية دورين – جبل الأكراد عدسة: ابو رودي

هدف المحطة هو مكافحة التطرف والطائفية، وكما هو متوقع لم تتفق مع (داعش)، الذين هم متطرفون وطائفيون. البرامج هدفها الرئيسي تقديم المعلومات للناس حول العملية السياسية، لأنهم لا يفهمونها جيدا، وأوضح الجراح بأنهم قاموا بذلك لمدة ثلاثة أشهر ونصف قبل أن يصبح (رامي رزوق) في عداد المفقودين.

كان البث خطيرا على العاملين في المحطة، فالإعلاميون يواجهون خطرا كبيرا ببثهم المواد التي تنتقد تصرف المجموعات المتطرفة المتحكمة بالرقة. قبل عدة أيام من اختفاء رامي، تعرض الناشط (مزين) الذي أعد العديد من البرامج، لاستهداف من قبل (داعش) وقد نجا وفر إلى تركيا، بينما رامي الذي اختفى في الأول من أكتوبر، لم يشاهده أحد منذ ذلك الوقت. راديو (انا) تلقى أخبارا عن رامي بأنه لا يزال على قيد الحياة، ولكنه تعرض لضرب مبرح من آسريه.

قال الجراح: أعرف رامي جيدا وأعرف كيف سيكون شعوره. إنه يريد منا أن نفعل شيئا لمساعدته، ولا أعتقد بأنه علينا الاستسلام الصمت أكثر من ذلك، لأننا في كل مرة نستسلم فيها، يحصلون على ما يريدون، الوقوف في وجه المتطرفين قد يكون خطيرا أو قاتلا،ولكن الاستسلام وضح أنه أكثر خطرا ومميتا.

بالنسبة للجراح، هي أكثر من مجرد حرية صحافة، بل هي استعادة الثورة السورية من المجموعات التي نراها تخطف ما كان يقاتل هو وكثيرون من أجله، أولئك الذين يحاولون إسكاتنا سوف نتحداهم، وأولئك الذين يحاولون عزل عقولنا وأفكارنا سوف يعزلون، وتعهد بأن من الآن وصاعدا سوف يكون إعلامي سوريا واقعيين مع كل ما يواجهونه من داعش أو جبهة النصرة أو النظام السوري. بالنسبة لنا رسالتنا واضحة، يقول الجراح. ثورتنا كان من أهدافها الحرية والكرامة والمساواة, وهذه الخصائص لن نتفاوض عليها. نؤمن بعدم وجود شعبية لـ(داعش)، إذا تكلم الجميع فستواجه مشكلة الدعم العام، بشكل عام الناس لا تحب (داعش) ولكن لا أحد يجرؤ على التكلم بشكل معلن ضدهم. إنهم يخشون من وقوفنا ضدهم.

لمواجهة المخاطر، أمل الجراح بتوفير ظروف مادية وإمكانات تقنية أفضل للإعلاميين وللصحفيين، وتدريبهم والحفاظ على أمان الصحافيين المدنيين الذين يأخذون على عاتقهم تبليغ السكان بحقيقة ما يجري ونقل الواقع كما هو. جراح ومنظمته يهدفون لحماية المحطات الإذاعية الأخرى في دير الزور وإدلب وحلب وضواحي دمشق، وهم يخططون أيضا للبدء من جديد في الرقة، حالما تصبح المناطق قابلة للعمل. يبقى أنه ليس بمقدورنا فعل أي شيء آخر الآن، إلا أن ننتظر، وأن نرى ما إذا كان فريق (انا) وإعلاميو الثورة، سينجون من اهتمام (داعش) وغيرها من التنظيمات، التي لا تتضمن رؤيتها لسوريا المستقبل، على ما يبدو، صحافة حرّة.

فيلم (على الطريق)حين تراجع السينما ثورات الجيل الأدبي..

علي سفر

ليست المشكلة في أن يختار قارئ الفيلم تصنيفاً محدداً لما يشاهده، بل المشكلة في أن يقوم بقسر الفيلم لكي يطابق القالب..، ولعل أهم الخلاصات التي يجنيها قارئ الفيلم من مماحكة الأفكار المبثوثة في الأفلام، تتجلى في أن تكون علاقته مع الفيلم هي علاقة مطابقة بين الذات وبين الخطاب، فأن يجد المشاهد ذاته في فيلم يتحدث عن جيل سابق على سبيل المثال، لهو أمر أهم بكثير من أن يستطيع تعليبه ذهنياً وتصنيفه ضمن النوع، وبالتالي رميه في خزانات الذاكرة.

فيلم (على الطريق on the road) للمخرج البرازيلي (والتر سالس Walter Salles) والذي تم عرضه في الصالات في العام ٢٠١٢، أنموذج لهذه المعادلة، فالفيلم المأخوذ عن رواية (جاك كيروك Jack Kerouac) (١٩٢٢-١٩٦٩) واسعة الانتشار (على الطريق) (١) يستدعي تصنيفه مباشرةً من خلال عنوانه، فهو من نوعية أفلام الطريق (Road movie) ولكنه ضمنياً، إنما هو فيلم يتحدث عن جيل أدبي كامل ساهم في تغيير الواقع الأدبي الأمريكي في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية هو جيل الشعراء الغاضبين أو السعداء (Beat Generation) وقد تعددت ترجمات المصطلح إلى اللغة العربية، غير أن ما يحتويه مضمون الظاهرة يتجاوز التوقف عند الاسم بحد ذاته، ليصل إلى جوهر فعل اللغة حين تعبر عن تفجرات جيل بأكمله، أراد أفراده أن يتمردوا على السلطات الأخلاقية المهيمنة على حياتهم، فكان أن اختاروا طرائق تعبير مختلفة، تم استنباطها عبر استخلاصات غريبة من تجارب حياتية غير عادية..

يتحدث الفيلم كما رواية جاك كيروك في نسختها الأصلية عن علاقة تربط بين شابين هما الراوي سال برادايس (سام ريلي Sam Riley) ودين موريارتي (جاريت هودلند Garrett Hedlund)، الذين يبحثان في التجربة الحياتية عن الحكمة التي تؤدي إلى الشعر، وقد اختارا أن يغامرا في التجوال عبر الطرق الأمريكية من الشاطئ الشرقي إلى الغربي،

لقطة من الفيلم البرازيلي على الطريق

دون أن يكون السفر غاية بحد ذاته، بل إن عبور الطرقات الواسعة الامتداد، كان عبوراً بين وقائع تحيط بالذوات البشرية التي يشكلونها والتي يعاطون معها، ولهذا فإن الحقيقة التي تلهم الجميع هنا، تكمن في العبور من التعاسة إلى السعادة، ومن الحزن إلى الفرح، ومن الاستكانة للواقع إلى التمرد عليه، ومحاولة تدمير عبر استخدام المتعة الجسدية بكافة أشكالها، من أجل الوصول إلى عالم خيالي مختلف..، هنا يتخذ المسار السردي وقائع وتفاصيل حياة دين موريارتي مادةً له، فهو المتمرد الذي نشأ سارقاً للسيارات، عابثاً ماجناً، غير مرتبط بأيٍ من القيم المتفق عليها، فهو متمرد على العلاقات الأسرية، يبحث عن الحب حتى وإن أضطر في سبيل ذلك إلى إحداث أذية نفسية لمن يحب، ولهذا نراه يتنقل بين امرأتين هما ماري لو (كريستن ستيورت Kristen Stewart)، وكاميل (كريستن دنست Kirsten Dunst)، وحتى حين يصبح لديه أسرة وأطفال أنجبتهما هذه الأخيرة فإن توقه للخروج من القوقعة التي يفرضها الزواج، يعيده مرة أخرى إلى الطريق، بينما يقوم سال الذي يرتبط بعلاقة أسرية أقوى، بتدوين كل التفاصيل التي يمر بها مع صديقه في تجوالهما الكبير طيلة سنوات طوال، عبرا فيها الولايات المتحدة من شرقها إلى غربها وبالعكس عدة مرات، وصولاً إلى زيارتهما للمكسيك، حيث يتعرفان على «جنة» أرضية قوامها الجنس وتدخين الماريجوانا، وهناك حيث يصاب سال بالحمى، يقوم دين بتركه بعد تلقيه لرسالة من كاميل تدعوه فيها للعودة إلى حضن الأسرة، فتحدث القطيعة بينهما، ولتنتهي الحكاية بلقاء سريع في نيويورك، تتوضح من خلاله مصائر الشخصيتين، حيث يبقى دين عابراً في الشوارع بين عشيقاته وتشرده وبحثه عن أبيه المفقود، وكذلك يذهب سال لتدوين تجربته الطويلة مع دين ورفاقهما الآخرين في رواية سيكتبها في عشرين يوماً بعد أن جمع تفاصيلها على عشرات الدفاتر الصغيرة.

رواية جاك كيروك والتي مازالت راهنةً لدى الكثيرين من جمهور القراء، كانت في الحقيقة تدوين كتبه المؤلف عن تجربته الحياتية مع جيل من الشعراء الذين تكرسوا لاحقاً ضمن الفضاء الأدبي الأمريكي والعالمي تحت اسم (شعراء البت Beat Generation) وقد نمت في سنوات ١٩٥٠ و١٩٦٠، فسال هو كيروك ذاته، ودين موريارتي هو نيل كاسيدي، الشخصية الملهمة للجيل كله، والذي تحول إلى أيقونة قوامها التمرد، بينما تظهر الشخصيات الأخرى كالشاعر ألن غنسبرغ تحت اسم كارلو ماركس (أدى شخصيته في الفيلم الممثل توم ستريدج Tom Sturridge)، وهو الذي يجمع في البداية بين الشخصيتين، وكذلك الكاتب وليم بوروز تحت اسم بول لي (أدى شخصيته في الفيلم الممثل فيغو مورتنسن Viggo Mortensen) وقد بقيت الرواية حاضرةً بوصفها مادةً إبداعيةً قوامها المغامرة في التمرد، ولعل هذا القوام قد جعلها ملهمةً لأجيال متعددة، لم تتمثل أو تكرر تجربة (شعراء البت) ذاتها، بل تمثلت جوهر حركتها وأدواتها، والتي تتماثل مع ما شهدته الحركات الإبداعية الأوروبية أيضاً في مرحلة النصف الأول من القرن العشرين، والتي يتجلى أفرادها

كملهمين لشخصيات الرواية، ولاسيما منهم الروائي الفرنسي (مارسيل بروست Marcel Proust)، والذي تتداول الشخصيات كتابه (البحث عن الزمن المفقود – الطريق إلى سوان) قراءةً وإلهاماً..

أثر الرواية على الأجيال دفع بالمخرج فرنسيس فورد كوبولا لأن يشتري حقوق تحويلها من الورق إلى الشاشة الكبيرة في العام ١٩٨٠، بمبلغ بسيط (٩٥ الف دولار) مبقياً على المشروع في أدراجه، وصولاً إلى السنوات الأخيرة حيث تشارك مع المخرج والتر سالس الذي كان قد بدأ العمل على هذا الفيلم قبل ٨ سنوات، فقد أخرج سابقاً فيلماً وثائقياً تحت عنوان (البحث عن «على الطريق» Looking for On the Road). وقد تحدث سالس للصحافة عن المشروع فقال: «إمكانية اقتباس الرواية كانت معقدة ولهذا أردت إخراج فيلم وثائقي متتبعاً الطرق التي سلكها كيرواك وبقية عناصر الشلة، كي أفهم بشكل أفضل تلك الأوديسة التي وصفها في الكتاب، وما تبقى منها في أميركا ما بعد العصر الصناعي». وقد بدا واضحاً ومنذ بداية الفيلم اشتغال سالس على التفاصيل المرتبطة بفكرة الطريق، فالتجوال، سيراً على الأقدام، وكذلك عبور الطرقات السريعة باستخدام السيارات الشاحنة الزراعية، وعبر السيارات القديمة، شكل الملمح الرئيس في مشاهد الفيلم، حيث تتالى الطُرقات مترافقةً مع كلام الراوي الذي يتأرجح بين المقطوعات السردية الموصفة للحدث وللمشاعر، وبين المقاطع الشعرية التي تحمل نبض الإنسان الذي يعيش فاقداً للثبات في المكان، وكأنه قد كتب عليه أن يخلق عابراً بين الأمكنة..

وهنا نتوقف كمشاهدين عند كثرة التفاصيل في السياق، والتي جعلت من طول الفيلم أمراً ملفتاً (١٢٤ دقيقة) دون أن تكون مملةً، وهي تحدث التراكم لدى المشاهد، وهو يراقب الجماعة الشعرية، وهي تخوض في منحدرات ومرتفعات ذواتها، متتبعةً خيوطاً حياتيةً أثيرية، تقودها إلى الشعر، وإلى الحب، وإلى البحث عن شكلٍ مختلف للإنسان الذي بدأ يفقد روحه في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، لصالح النهوض الصناعي..

لقد أنتجت هذه التفاصيل، التي يعيد الفيلم رسمها عبر استرسال الكاميرا عبر اللقطات العامة ملاحم شعرية، كرستها قصائد جيل بأكمله، قصائد كاتب توصف الأمكنة عبر رؤى الإنسان الصغير الذي يقف في مواجهة صلفها وطغيانها..، العلاقة هنا بين الكلمة وبين الصورة تتعدى المطابقةَ، لتتجه إلى محاولة التعبير المجازي، وهكذا تمر معنا على الطريق محاولات الجميع لأن يكتب قصيدته الذاتية، حتى وإن أخذت شكل عبور الطرقات بحريٍ كاملٍ، دون الالتفات إلى الأخلاق السائدة بوصفها، تعبير من تعبيرات طغيان المكان وقسوته.

ما يريد الفيلم أن يأخذنا إليه يتحقق عبر الاستمتاع بالتفاصيل وبمغامرات الشخصيات، ولكنه من جهة ثانية يريد لنا أن نذهب إلى مراجعة الماضي، من أجل رؤية الطرائق التي مرت بها الجماعة الأدبية، وهي تحاول إثبات ذاتها، وإثبات تجربتها، وهنا نتذكر أن السينما قد حاولت العودة عدة مرات إلى قراءة هذه التجربة، والتي ربما كان أخرها محاولة المخرجان (روب ابستين Rob Epstein وجيفري فريدمان Jeffrey Friedman) مع الممثل (جيمس فرانكو James Franco) في العام ٢٠١٠ تتبع جزءاً مهماً من سيرة الشاعر (ألن غنسبرغ Allen Ginsberg) في فيلم ديكودراما حمل عنوان (عواءHowl) () وهو عنوان قصيدة غنسبرغ التي أودت به إلى التعرض للمحاكمة بحجة تعرضه للأخلاق المجتمعية، عبر نشره لعقائد الشذوذ الجنسي، وتعاطي المخدرات وغير ذلك، والتي نجا منها بعد أن رأت المحكمة أن الشاعر يتحدث عن قضايا ملحةً في المجتمع وبالتالي فإنه لا يخالف القوانين..!

رحلة فيلم (على الطريق) تضعنا في صلب التعريف الأول للأفلام التي تحمل هذا العنوان العريض في إطاره العام، ولكنها في العمق تبدد الإطار لصالح قراءة ذاتية وعامة للتجربة الإبداعية، التي قررت ذات يوم لرحلتها أن تكون ثورةً ضد كل شيء حولها.

هوامش

١–ترجمت الرواية إلى العربية، على يد الشاعر الفلسطيني سامر أبو هواش، وتم إصدارها عن دار الجمل في العام ٢٠٠٧، ويجدر بنا ذكر أنه غداة عرض الفيلم نظّم «متحف الرسائل والمخطوطات» في باريس معرضاً مثيراً حول هذه الرواية يتضمّن مخطوطها الأصلي الذي شكّل البيان الأساسي لمجموعة «جيل البيت»، إلى جانب وثائق غزيرة تسمح بالتعرّف عن كثب على حياة كيرواك وبالتعمّق في طبيعة العلاقات التي ربطته برفاقه داخل المجموعة المذكورة. راجع مقالة أنطوان جوكي «أسرار جاك كيرواك الكاتب «الأسرع» الى الضوء»، جريدة الحياة، الجمعة ١ يونيو ٢٠١٢.

٢–راجع مقالة الشاعر السوري فادي سعد «فيلم «عواء»: عن القصيدة التي مجّدت خطيئة الشعر» حيث يقول: « يبدأ الفيلم بتصريح أوّل يحاول توضيح طبيعة العمل: «كلّ كلمة واردة في هذا الفيلم مُقتبَسة من حياة الأشخاص الحقيقيين. الفيلم بهذا المعنى وثائقي، لكن، من أيّ وجهة نظر أخرى، هو ليس كذلك». التوثيق مع الأداء الدرامي يمتزجان إذاً، لتقديم الحلّ الأمثل ربّما لاجتراح فيلم عن قصيدة. وقائع المحاكمة، المقابلة الصحافية مع غينسبرغ، الأحداث التاريخية، اعتمدَتْ جميعها على أرشيف من الوثائق والرسائل والصور الفوتوغرافية ومقابلات قديمة مع الشاعر. المعالجة الروائية جاءتْ لتمنح الفيلم تدفّقه البصري الدرامي الممتع منتقلاً بين محاور ثلاثة متشابكة. الأول مقابلة صحافية طويلة مع غينسبرغ (يمثّل دوره ببراعة جيمس فرانكو) مع مراسل صحافي لا نرى وجهه، يعرض فيها غينسبرغ آراءه ويعود عبرها (فلاش باك) إلى محطات رئيسيّة في حياته قبل وخلال كتابة «عواء». الثاني يدور حول وقائع محاكمة ناشر «عواء» لورنس فرلنغيتي، وهو المحور الأكثر درامية في الفيلم. الثالث، يحاول فيها الفيلم عرضَ مُعادل تخييلي للقصيدة، عبر ترجمة بصريّة من رسوم متحركة صمّمها الفنان إريك دروكر (الذي عمل سابقاً مع غينسبرغ)، حوّلَ فيها كلمات «عواء» إلى ملائكة تخترق وأجساد عارية ترتعش وأعضاء تناسلية وهياكل عظميّة وناطحات سحاب ممسوخة وحقن مورفين وشوارع رماديّة تحاول تمثيل الإحالات الشخصيّة والصور والأفكار والمدَنيّة الخانقة التي كتبَها غينسبرغ في قصيدته.»، جريدة السفير ٢٠١١/٠٢/٢٥.

الموسم المسرحي الدمشقي محاولات خجولة للخروج عن التقليدية

طلال الهادي

مع استقرار السلطة السياسية في سوريا منذ بداية السبعينيات، وتحقيق أعلى درجة توافق بين الدستور والقوانين المفسرة له من زاوية العلاقة بين المؤسسات السلطوية (التشريعية والتنفيذية والقضائية)، والسيطرة على قمة الهرم في الدولة واستنساخ هذه السيطرة حتى أصغر مؤسسةٍ إدارية وثقافية، وممارسة الفعل الاحتكاري في المؤسسات الحكومية ذاتها بحيث يقف خلفها جهازٌ إداري يحكمه نهج هذه العلاقات من حكم السلطة «التوجيه، التدخل الشامل، الاستخدام الإيديولوجي في اتجاه واحد، التضييق على الآخر، وصولا إلى إلغائه إذا ما استطاعت هذه المؤسسات إلى ذلك سبيلا»، ووضع العقبات الكثيرة لعدم نجاح الآخر للوصول إلى فعل ثقافي غير خاضع لهذه السيطرة، حيث بدا للكثيرين أنهم أمام معركة ثقافية من أجل إنتاج فعل ثقافي أو مسرحي أو سينمائي أو عمل درامي خارج هذه السيطرة.

هذه الوضعية بقيت قائمة قبل الثورة السورية في ٢٠١١/٣/١٨، واستمرت المؤسسات الثقافية السورية في التعاطي مع الفعل الثقافي والمسرحي بالوضعية ذاتها، مع استمرار الثورة السورية, حيث أنتجت المؤسسة المسرحية السورية (مديرية المسارح والموسيقى) مواسم ٢٠١١، ٢٠١٢، ٢٠١٣، بذات العقلية، وهي تعتمد بشكل رسمي ومنهجي عدم وجود ثورةٍ في البلاد السورية، رغم خروج مناطق واسعةٍ من البلاد السورية عن سيطرة وهيمنة السلطة والجيش العربي السوري والمؤسسات الأمنية.

وإذا كان الدستور الجديد للبلاد قد أسقط المادة الثامنة من الدستور، وأنهى هيمنة الحزب الواحد على سوريا، فإنه بالمعنى الفعلي لم يحرِ أي تغيرٍ حقيقي في مؤسسات الدولة والمجتمع، ومنها المؤسسات الثقافية والمسرحية والسينمائية، لا بل عمد حزب البعث إلى تسجيل العديد من المؤسسات الإدارية والأبنية الحكومية باسم الحزب، على أنها ملكية خاصة للحزب وليس للدولة، لكي يتيح إمكانية الاستمرار بفعل السيطرة والهيمنة للمراحل اللاحقة في البلاد.

إن أزمة المسرح السوري تتحملها المؤسسات الرسمية السورية التي تقودها وزارة الثقافة، ومديرية المسارح والموسيقا والمسرح القومي، هذه المؤسسات التي ما زالت تعمل بقوانين العصور الوسطى وعقلية هيمنة الحزب الواحد، لذلك لم تر هذه المؤسسات في المسرح السوري سوى نشاط احتفالي تظاهري يسجل في تقارير دورية ثقافية، ويرفع إلى الحكومة حيث يكون معنياً الوزير بأن يقدم التقارير لها، وكذلك يفعل المدير المسؤول في مديرية المسارح، كما يفعل المدير الذي يليه في المسؤولية مثل «مدير المسرح القومي، مدير مسرح الطفل..»، وهكذا مضت وتمضي المؤسسات المسرحية السورية في دائرة مغلقة، وسلسلة لا نهاية لها من الأعمال الفوضوية غير المفيدة للشعب السوري، وإنما تكرس مراكز النفوذ التي تعمل بها المؤسسة الأمنية، و تصبح هذه المؤسسات إقطاعية للمدير وصاحب القرار.

في ظل هذه الأوضاع المستمرة من سنوات، ماذا نتوقع من المؤسسات المسرحية السورية أن تفعل بعد سنتين من اندلا ع الثورة السورية؟ خصوصاً أنّ ما من تغيير في البناء الفوقي، ولا البناء التحتي للمؤسسات الثقافية والمسرحية السورية. حيث استمر الموسم المسرحي للعام ٢٠١٣، كما جرت العادة تماما، باستثناء تغير في مواعيد عروض المسرحيات التي تقدم على المسارح الدمشقية في الساعة الثامنة، والسابعة للكبار، والخامسة مساءاً للصغار، لتصبح ما بين «١٢- ٢» ما بعد الظهر، والخامسة مساءاً للكبار. ويمكن تقسيم الموسم المسرحي الدمشقي للعام ٢٠١٣ إلى عروض مسرحية كلاسيكية: أبرزها «ألعاب السكون الأخيرة» للمخرج موسى أسود، والتي أعدها عن نص «نهاية اللعبة» لصموئيل بيكت مع مونودراما «ماجدة والمائدة» للكاتب البولوني اندجي ماليشكا، في محاولة للجمع بين لغة بيكت التي تتجه نحو السؤال الفلسفي، ولغة المونودراما التي تنحو باتجاه المزج بين الواقع والفنتازيا, وحافظ العرض على المضمون الفكري العبثي واللاجدوى والعدمية.

أما عرض «ليلي داخلي» للمخرج سامر محمد إسماعيل، المأخوذ عن نص «خطبة لاذعة ضد رجل جالس» للكاتب العالمي الكولومبي غبريل غارسيا ماركيز، فقد أعده الروائي السوري خليل صويلح، ويتناول الحياة اليومية التي يعيشها أناس الطبقة المترفة في ظل الأوضاع الراهنة، في حين أن العرض الذي أثار انتباه النقاد والصحافة هو «المرود والمكحلة» للكاتب المسرحي عدنان عودة والمخرج الشاب عروة العربي، ويقدم مذبحة الأرمن التي بدأت في العام ١٩١٧، في جبال أرارات على يد العثمانيين، لتتقاطع مع حكاية شاب سوري كردي يصادف أخته من أمه في ليلة من ليالي دمشق بعد سنوات طويلة. وتدور الأحداث في خمسة أماكن في سورية هي جدران البيوت الطينية في الرقة وحمص وخيام البدو في الجزيرة السورية وقوارب الصيادين في نهر الفرات وصولا إلى بيوت العاصمة دمشق على سفح جبل قاسيون. وكذلك قدم على مسرح الحمراء في دمشق عرض «تقاسيم على درب الآلام» نص وإخراج زيناتي قدسية، الذي يتناول حكاية إنسان مقدسي اسمه «فريد المقدسي» من القدس الشرقية، يعمل في بلدية القدس الغربية عند الكيان الصهيوني, حيث تعتقله المخابرات الإسرائيلية وتضعه تحت الإقامة الجبرية في محاولة لمعرفة مكنونات صدره عن دولة «إسرائيل»، بالإضافة إلى ذلك قدم الشاب المخرج كفاح الخوص عرضَي «بلاد ما فيها موت، وفي بار بشارع الحمرا» اللذان يعودان إلى دمشق في زمن ما قبل الثورة السورية عبر الخوض في أيام الزمن الجميل الدمشقي في لحظات السلم في الشام، وفي بار بشارع الحمرا يطرح قضية الهجرة من دمشق إلى بيروت نتيجة ما يحصل بالشام، وعمل هؤلاء الشباب في البار، وما يحدث من خيانة زوجية من قبل أحد أصدقاء الزوج.

كما قدمت مديرية المسارح أيضا عرضين راقصين، الأول «إنسان»، من تأليف وإخراج نورس برو، يقدم رؤى إنسانية مستمدة من الشارع السوري بشكل حديث ومعاصر لا تغيب عنها الثقافة السورية بغناها وتنوعها, وعيش مكونات الشعب السوري بمختلف مناطقه وتوجهاته، متخذاً من

الإبهار الجسدي أساسا واضحاً لكل ما يعيشه الإنسان السوري.

والعرض الثاني الراقص «أبواب المجد» لفرقة أجيال للمسرح الراقص، من تأليف فادي منصور، وإخراج مشترك للفنانين مجد أحمد وباسل حمدان، ويتناول العرض أمنيات طفلة صغيرة تتمنى أن تزور أبواب الشام وأن يحل فيها الخير والسلام.

وفي مسرح الطفل، قدمت مديرية المسارح والموسيقا خمسة عروض هي «أرنوب» للمخرج عبد السلام بدوي و»الرهان الخاسر» للمخرج خوشنانف ظاظا، و»الزهرة القرمزية» للمخرج رشاد كوكش، و»التنين يبحث عن صديق» للمخرج عبد السلام بدوي.

قدم المعهد العالي للفنون المسرحية عرض «الكوميديا السوداء»، مشروع تخرج طلاب السنة الرابعة، بإشراف الفنان بسام كوسا عن نص للكاتب البريطاني(بيتر شافر) الذي كتبه عام ١٩٥٦، ويتناول مدى زيف حياة الجنس البشري تحت وهم أنه كائن اجتماعي، بينما هو في الحقيقة يسعى بشكل لاهث لخدمة ذاته الأنانية، على كل القيم الإنسانية والمفاهيم التي تحكم علاقات الناس بعضهم ببعض.

أما العرض الذي كان مفاجأة الموسم، فقد جاء من خارج مديرية المسارح والموسيقا، وهو عرض «العودة إلى البيت»، وقدم في «برج الفردوس» للمخرج أسامة غنم والكاتب هارولد بنتر، ويتناول حياة شخصيات غرائبية تعيش تمزقات غير قابلة للترميم، وحياة مقطعة الأوصال، من خلال عميدها، الأب الذي يحاول استعادة سيطرة مفقودة على أبنائه.

أخيراً، فإن الموسم المسرحي السوري تراوح بين التقليدية التي تجري في كل موسم مسرحي، ومحاولات الخروج عن هذه التقليدية المؤسساتية المعروفة لدى المسرحيين السوريين. لكن هذه المحاولات في الخروج عن الموسم التقليدي بقيت خجولة نتيجة أن المؤسسة المسرحية السورية مازلت توجهها ذات العقلية التي تنتمي إلى مراكز النفوذ الرسمية.

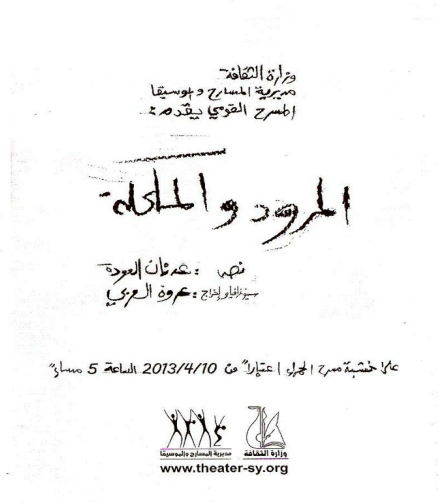

عن دمشق حبة القلب

محمد عيد إبراهيم

لو قلنا دمشق نردّد وجيب قلوبنا، لو غنينا دمشق فإننا ننشد دبيب أرجل العصافير فوق سطح نافذة وهي تصطاد حبة تطعم بها صغارها الجوعى، ولو أطلقنا قصائدنا في حبّ دمشق لارتدّت إلينا في شكل غزلان تصبو إلى الحنين وهي تحنو على بعضها البعض.

رحتُ دمشق مرات، وفي كلّ مرة كانت روحي العطشى تتألّق بمزيد من سغبها نحو إرواء جهلها بالمكان الذي يجعلنا نحسّ به مجهولاً كلّ مرة. دمشق بحواريها القديمة التي لا تبلى من عطرها، بشوارعها الجديدة التي تذكّرنا بضرورة الحياة على عجل، بنسائها الجميلات المتطلّعات إلى المستحيل، وشبابها المحمومين المتطلّعين إلى إنجاز آمال قد لا يفكّر أحد أصلاً في الحلم بها، بعجائزها ذوي التجاعيد الذين واللاتي لا يهدؤون في طلب الذكريات القادمة.

في سوريا عموماً حالات غامضة من الحنين، حالات مألوفة من اكتساب المعرفة، حالات ملتبسة من الحبّ، حالات قابلة للقراءة الدائمة أملاً في فضّ ما يصعُب على المرء أن يدركه.

حين تذهب في سوريا من شمالها لجنوبها، قد لا تستغرق ساعات معدودات، لكنها رحلة طويلة في التاريخ ومعاناة أطول في الجغرافيا، فللتاريخ نقول إنها بلد من بلدان، بلد في بلدان، بلد بعمر بلدان، بلد قد تقضي عمرك كله من دون أن تستطيع اجتياز حدود تاريخه. أما جغرافيته القلقة فهي لا تصيبك بالقلق، بل تسكنك في الحشايا فلا تستطيع لا فكاكاً، جغرافيا منحنية كأنها جسم امرأة حبيبة تحلم بإتيانها وليس بمقدورك إلا الحلم بها، الحلم بها على أمل أن تروي عظامك من مكنونها يوماً.

عفا الله عن دمشق، ورحم الله سوريا، مما بها من تعب، ومما بها من صراخ، ومما بها من دم. ليبارك الله سوريا، وأهالي سوريا، وفي القلب منها دمشق، دمشق حبة القلب، فهل يستغني امرؤ عن قلبه ذات يوم؟ سوريا الأمل تلوح في المستقبل، ودمشق طفلة تركض للحاق بما هو آت، وما هو آت مشرق قد لا يتوقّع أحد كلّ ما فيه من ألوان.

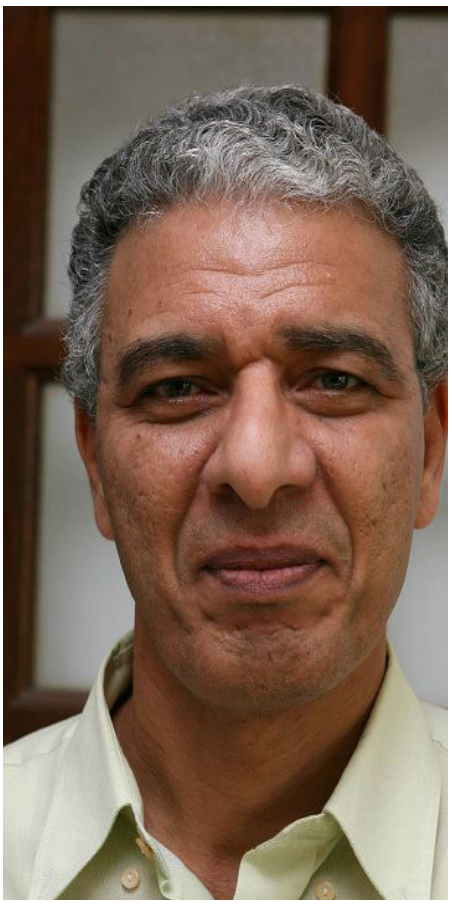

أولى فعاليات بيادر سوريّة في عينتاب أمسية شعرية لـ خضر سلمان وعارف الكريز

خاص حنطة

بالقلوب المشتتة بين الحب والحرب، الأمل والخوف والانتظار الطويل، حضر سوريون في عينتاب يوم الجمعة ١٧ كانون الثاني ٢٠١٤، أمسية شعرية لشاعرين سوريين شابين، في مركز بيتنا سوريا، وكانت الأمسية مساحة للالتقاء والتواصل والانفتاح على فضاءات مشتركة للإبداع.

قصائد الأمسية تنوعت، بين الحلم والأمل، بين مفردات واقعة الغربة والاعتقال، الأصدقاء الشهداء، رفاق الطريق وراء السجون، والحبيبات وراء الأسوار، والأهل في الحصار، الفرح والحزن والحرب، والسلام المفقود.

الأمسية التي تقيمها مجلة (حنظة) بالتعاون مع مركز بيتنا سوريا، هي جزء من نشاط نصف شهري تعمل مجلتنا على استدامته وتطويره لاجتذاب المواهب السورية وإتاحة الفرصة للتواصل والتفاعل بين السوريين، وهو (بيادر سورية)، حيث يجمع فنانون شباب سوريون ما لديهم على بيادرنا ليكون للجمهور حق التفاعل والإسهام في فعل الإبداع، لأن الإبداع بمفهومه الأعم فعل واسع ومتسق ينبني عليه رغبة متجددة في اكتساب الإلهام عبر التواصل.

وتنوعت انطباعات الحضور لدى سؤالهم عن الأمسية، لكن الجميع أجمع على ضرورة استمرار هذه الفعاليات وتنميتها وتطويرها, لما فيها من إمكانيات غير متاحة في أماكن أخرى، لتمرر المنتج الإبداعي الشبابي السوري إلى المتلقين والتفعيل المتبادل بين الأدوات الإعلامية المنضبطة والمدارة، وبين الفعل الإبداعي الحر والجامح.

سوريون في شتاتهم الطويل, لا ينسون الشعر، كتابةً وتذوقاً، ولا تنسى حنطة أن تكون جزءاً من دائرة الحياة التي تصر على الحياة، حتى الوصول إلى سوريا التي يحلم بها أبناؤها جميعا، سوريا العمل والموهبة, سوريا الحرية الخلاقة والفن المنفتح على فضاءاته الإنسانية الرحبة..

سندويتش أمل، كي لا نموت من اليأس

أسامة أحمد

لم نرَ هذه المشاهد المروعة على الرغم من فداحة وهول ما رأيناه من قبل، إنها اكثر خطورة ودموية. مدن وقرى تسبح في بحور من الدم والدمار وتعود سنين الى الماضي، سراديب من الظلم والظلام تعشش فيها عفونة الاحقاد. أهرامات من الجثث تُقتَل بكافة طرق الموت، غذت انهاراً من دماء مواطني ما كان يسمى وطناً. أمسى الوطن مذبحاً لأبنائها .

إن لم أكن قتيلاً فأنا قاتل. لا يوجد خيار ثالث في زمن ضاعت فيه كل المحرمات أو نسيت. لم يعد الوطن يتسع لفكرتين أو لمذهبين. أصبح مسرحاً لأمراء وقادة غارقين في دماء أبنائه لدرجة الثمالة. ينطبق عليهم المثل الفرنسي « لم يتعلموا شيئاً ولم ينسوا شيئاً». لم يتعلموا شيئاً من تجاربهم ولم ينسوا أحقادهم. لا تتهمني بالمبالغة، ما ينقل عن وطني أقل مما يحصل فيه.

التوحش مبدأ لديهم والقتل وفنونه تسلية أو لعبة مقامرة على طاولاتهم.

لعبة القناصة، والهدف بطون الحوامل. نشرت وسائل إعلام بريطانية في الآونة الاخيرة، مقابلات مع جراح تطوع في العمل في سوريا قدم فيها روايات مرعبة عن قناصة «يلعبون لعبة فيما بينهم، بإطلاق رصاصهم على المدنيين، بما في ذلك الحوامل، من أجل الحصول على علبة سجائر، وقال الجراح البريطاني ديفيد نوت «كل النساء أصبن برصاصة في الرحم. لقد كان عملا مقصوداً. إنه جحيم ما بعده جحيم». وأوضح أنه في إحدى الحالات اخترقت رصاصة رأس الجنين. قناصة يقامرون على بطون الحوامل مقابل علبة سجائر. ثمن زهيد مقابل جنين في رحم أمه. مشاهد من القرون الوسطى. اقتلاع للقلوب. إعدام طفل برئ. جلد. فتاوى دينية عن المأكل والملبس. إنهم يتدخلون حتى في ألوان ملابسنا وطريقة نومنا. خلافة إسلامية ودول وجمهوريات وإمارات باسم الإسلام ومن يعترض كافر. قوانين ومراسيم لم نعهدها من قبل. فنتازيا العنف لدينا تنتج وتخرج بعيدا عنا جغرافياً وفكرياً. لدينا ما يكفي من الاستوديوهات والكومبارس لننتج المزيد من المشاهد لهم.

طفل سوري محاصر في مخيم اليرموك

وطني أمسى سرداباً للعالم يتسكع فيه كل طامح للدم والقتل، حيث بات بإمكان كل مجرم ممارسة هوايته بالطريقة التي يهواها.

لا تتهمني بالمبالغة. ما ينقل عن وطني أقل مما يحصل.

مدن ومناطق محاصرة معاقبة بالجوع والحرمان. ريف دمشق.. كيف لدمشق أن تنسى خيرات ريفها وهي الآن تشاهد موت أبنائها من الجوع، وهي التي لم تبخل يوماً بخيراتها؟ فتاوى تحلل أكل لحوم القطط والكلاب، لم يبق لريف دمشق إلا القطط والكلاب.

كيف لسوريا أن تنسى خيرات جزيرتها وهي تشاهد نزوح وتشرد أبنائها من الحصار؟ محافظة الحسكة، الباحة الزراعية الخلفية لسوريا، التي تمدها سنويا بملايين الأطنان من المحاصيل الزراعية من الحبوب والأقطان. وملايين الدولارات من عائدات النفط التي تستخرج من أرض هذه الجزيرة. أبناؤها اليوم يقتاتون على ما يسد رمقهم في مخيمات الذل، أو يركبون قوارب الموت تلفهم أكفانٌ من أمواج البحر.

لكل حرب صورها وقصصها الخالدة. إنها تلك الصور التي باتت تستوطن في الذاكرة الجماعية، فعندما نستذكر مدينة حلبجة في إقليم كردستان العراق نستعيد صورة فتاة تصرخ وتركض من الألم بعد قصف الخردل والنابالم، وفي مجاعة السودان نستعيد صورة طفلة تزحف ببطء إلى الموت، فيما يتربص بها نسر ينتظر موتها. صورة فتاة بوسنية غلفها العار بعد اغتصابها من جيرانها..

هذه الصور وغيرها ساعدت كثيراً في جذب انتباه العالم وحثه على فعل شيء ما. وحدهم السوريون قليلو الحظ، إذ لم تنجح كل تلك الصور والمشاهد التي بنت مستوطنات في ذاكرتنا الجماعية في أن تحد من كلفة فاتورة الفوضى. صور التقطها ضحايا الفوضى نقلوها مع آلامهم. فهل من فسحة أمل تبعد عنا شبح الموت أم هيهات؟

صورة فتاة صغيرة محمولة على الاكتاف تصرخ «يا الله انصرنا عليهم» سبق أن هتفت هذه الفتاة ضد النظام ولكنها في المظاهرة الأخيرة كانت تهتف ضد ظلمة آخرين. قادت هذه الفتاة مظاهرة ضد الدولة الإسلامية في العراق والشام. إنها نقطة مضيئة في زقاق الجاهلية. إنها سندويتش أمل كي لا نموت من اليأس .

صورة أناس يركضون في سباق بين الحرب والسلم، بين الحقد والمحبة، بين الأمل واليأس. في مدينة القامشلي في ماراتون للسلام أشعلوا مضمارا من النور في غابة من العتمة تعشش فيها طفيليات من الحقد، وجفت جذور أشجارها من اليأس والقهر، بخطواتهم الثابتة نحو السلام أعطونا سندويتش أمل كي لا نموت من اليأس.

هل ستسعفنا كاميراتنا الرقمية ببسكلاتها البدائية منها والمتطورة، في رصد جميع صور الألم، وأن تضيء كل صور الأمل في وطني، الذي في كل شارع فيه قصة وعند كل فرد حكاية.

هل لنا بمزيد الأمل كي لا نموت من اليأس أيضاً؟

كفالة اليتيم ثورة بحد ذاتها

ولات أحمه

جراء النزاع المسلح في سوريا، على خلفية الاحتجاجات المناهضة للنظام السوري منذ منتصف آذار ٢٠١١، سقط الآلاف من الضحايا، بسبب اللجوء لاستخدام شتى أنواع الأسلحة الثقيلة ودك المدن وقصفها براً وجواً.

إن سقوط المدنيين يومياً جراء آلة القمع، وضع النسيج الاجتماعي السوري أمام مخاطر وعقبات، من تفكك الأسرة السورية وتشردها جراء وفاة الأب أو الوالدين معاً، لتكون السبب الرئيس في ازدياد حالات اليُتم، تزامناً مع تعامٍ وتجاهل تام من قبل الجهات المختصة، التي لم تلتزم بواجبها الإنساني والقانوني بالشكل المنصوص عليه في جملة من الدساتير والمواثيق الدولية، فعانى الطفل السوري معاناة مزدوجة، كان له الأثر البالغ على محيط الطفل الأسري والاجتماعي والتربوي، مما جعله موضوع قابل للاستغلال مادياً وجنسياً وعسكرياً.

اليتيم الذي أوصت به الديانات والكتب السماوية وأخذ حيزاً مهماً في المواثيق والقانون الدولي لإعادة تأهيله والاهتمام به في الحياة اجتماعياً ومادياً وتربوياً، لم يتم تقديمهم على أنهم ضحايا القدر أو بقايا المجتمع كما هو شائع في مجتمعات عديدة، بل كانوا موضوعا لآيات قرآنية كريمة، ومواد جوهرية في المواثيق والعهود الدولية، صانت لهم كل سبل الاحترام والمودة والتلذذ بالحريات العامة.

الأيتام في كتاب الرحمن

الإحسان والإكرام إلى اليتيم هو خلق إسلامي، دافع مشع، إنساني، متمثل بقيم وخصال من الدين الحنيف، خطوة وآية ذات دلالة واضحة للحفاظ على النسيج الاجتماعي، الحنان والدفء والشعور بالآخرعبر تعاليم وإرشادات وتوجيهات من القرآن والسنة للحفاظ على صلة الرحم و إيقاظ العملاق النائم «الضمير» داخل النفس البشرية، للاحتكاك والتقرب بين الإنسان وأخيه الإنسان، هي سيالة من الأخلاق والمحبة والضوء والحب تُرسَل نوراً و إخلاصاً لشريحة من المجتمع، الشريحة التي يقع على عاتق الجميع الوقوف معها التزاماً بأمر الله وفرقانه.

الإسلام عبر ركائزه و أركانه ومقوماته وكتبه وصحفه، وقف أمام كل القضايا الإنسانية والاجتماعية والحقوقية بكل توازن ودراية، ليؤكد للجمع بأن الإسلام دين متكامل سبق كل العلوم والكتب في ترتيب البيت الإنساني بكل دقة و حكمة، فأعطى الدين الإسلامي كل الأهمية والاهتمام لمسألة اليتيم عبر شرائع و دساتير نستمدها من آيات القرآن الكريم إلى جانب أحاديث شريفة، فلم يأتي اهتمام الإسلام بقضية اليتيم اعتباطاً ومن باب الصدفة.

رسول جل جلاله، يتيماً بين قومه وكنف عائلته (ألم يجدك يتيماً فآوى). إن انتقاء الله تعالى لخاتم أنبياءه يتيماً، لهي آية ربانية وتهذيب وتوجيه لعباده على قيمة ومقدرة اليتيم على الانخراط والعمل في الحياة، وناهياً سبحانه، عن أن يكون اليتيم من فئة أو شريحة تعيش كعالة أو على الهامش في الحياة اليومية الاجتماعية، بل هو قادر أن يكون فاعلاً و سوياً في رحلته الإنسانية، كيف لا يكون فاعلا وكان محمد (ص) يتيماً ونبياً أرسله الله جل جلاله لبني البشر ليهديهم ويجنبهم المعاصي بكتاب ومعجزات.

أخذ اليتيم حيزاً كبيراً في الشرائع الإسلامية، كدليل واضح، على قيمة الإنسان في الإسلام، فهو النواة الفاعلة القابل للانشطار والتكاثر، لعمل الخير والإحسان ودفع عجلة الحياة نحو بر الأمان والهدوء دون أي تمييز بينهم باختلاف أجناسهم و ألوانهم ووضعهم الاجتماعي. أكد الإسلام بأن الاقتراب من مال اليتيم وأكله من السبع الموبقات، كحاضنة قانونية حقوقية، وآلية ردع وتحذير لكل شرائح المجتمع في التقرب أو التفكير في أكل مال اليتيم في صورة قانونية حقوقية متكاملة غير قابلة للتسويغ، ويظهر ذلك في الحديث الشريف عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، قَالَ:(اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ، وَمَا هُنَّ ؟ قَالَ : الشِّرْكُ بِاللهِ ، وَالسِّحْرُ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ، وَأَكْلُ الرِّبَا ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلاَتِ.).أخرجه البخاري. وفي آية قرآنية يحذر الله تعالى بشكل قاطع وبإنذار رهيب و شديد لمن يتطاول على أكل مال اليتيم ظلما بغير حق فيقول:(إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً) النساء١٠.

حض الإسلام على احترام اليتيم بكل الصور اللبقة، ومعاملته كأي فرد داخل الخلية الاجتماعية، ودفعه بكل قوة نحو الحياة العامة في كل المجالات، باعتباره كيان فاعل قادر على خدمة وتطوير المجتمع، بحكم الفرد هو الخلية الأولى و الأساسية في تشكيل نواة الأسرة التي هي الخطوة الأولى لتكوين وخلق مجتمع ناضج سوي قادر على الإبداع و النشاط، ومن منطلق تعزيز الروابط و العلاقات الاجتماعية واحترام قيمة الفرد بغض النظر عن حالته الأسرية وحفاظا على دور ومكان اليتيم، نهى الإسلام بشكل قاطع إهانة اليتيم وعدم احترامه أو إيصال الضعف و الاستصغار إليه، فيقول عزوجل في كتابه: (أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (١) فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (٢) وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ) سورة الماعون٣،وفي آية أخرى يقول سبحانه:(فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (١٦) كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (١٧) وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ) سورة الفجر ١٥.

للوصول إلى الذيوع المرجو، في الاهتمام باليتيم ورعايته، يتطلب منا تلقين وتعليم كل الشرائح الاجتماعية معاني المحبة والوقوف إلى جانب اليتيم من كل النواحي، وتشجيعهم وتثقيفهم بماهية كفالة اليتيم واحتضانه، لأن تلك الكفالة هي جدار وقائي وتشجيعي وحافز لإعداد ومساعدة فئة من المجتمع مادياً ومعنوياً، بل يتعدى ذلك إلى فتح كل السبل أمام تلك الفئة في مجال التعليم والتربية عبر مفهوم كفالة اليتيم. ولأن تلك الكفالة لها قيم ومعاني سامية في الحفاظ على فئة من المجتمع، أكد الإسلام على دور كفالة اليتيم كطريقة وأسلوب في الحفاظ على شريحة معينة من المجتمع من الجوع والبرد وسد كل الثغرات أمامها من الانحراف و الضياع، ولقيمة وسمو معنى الكفالة أثنى الإسلام على كل شخص يقوم بكفالة اليتيم، حيث جعل عليه الصلاة

والسلام كافل اليتيم مرافقاً ومصاحباً له في الجنة، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ، صلى الله عليه وسلم: أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى، وَفَرَّقَ بَيْنَهُمَا قَلِيلاً. أخرجه أحمد– البخاري.

أولى الإسلام عناية كبيرة بأمر وشأن اليتيم فلم يقف أمام المساعدة المادية في المأكل والمشرب والملبس والعلاج، بل ركز واهتم بالجانب النفسي ناهياً سلوك الشفقة والحزن، ودعا كل الفئات إلى مراعاة محيط وظروف اليتيم الذي يشعر بالقهر والانكسار بعد فقدانه لأبيه، ونادى بخلق فضاء مريح ممتع هادئ، قادر على استيعاب متطلبات واحتياجات اليتيم النفسية من الحنان والمحبة والإخاء والاهتمام وتجبير الفراغ الحاصل في حياته اليومية، عبر اللسان اللطيف والنظرة الرؤوف للوصول إلى الاتصال الحسي والجسدي السليم المفعم بالإنسانية، عن عبد الله بن أبي أوفى –رضي الله عنه– عن النبي – صلى الله عليه وسلم : « ما من مسلم يمسح يده على رأس يتيم إلا كانت له بكل شعرة مرت يده عليها حسنة ورفعت له بها درجة وحطت عنه بها خطيئة.

« لا يُتم بعد الحلم « حديث شريف، وذلك لإيلاء الاهتمام والرعاية في كفالة اليتم حتى سن محدد واليتيم هو كل من لم يبلغ سن الرشد الثامنة عشرة من عمره الذي فقد أباه نتيجة وفاة طبيعية أو استشهاده ويشمل اليتيم الجنسين من الذكر و الأنثى، أن تحديد عمر اليتيم وفقاً للشريعة الإسلامية يضعنا أمام الواجبات التي تقع على عاتقنا في رعاية وكفالة اليتيم وعدم التنصل والتستر وراء حجج و ذرائع واهية، فالوصول إلى العمر المحدد والمنصوص عليه في الكفالة و الرعاية يكون حينها اليتيم قد وصل إلى حالة يانعة قادر على خوض زمام المبادرة و الغوص في تلافيف الحياة وبدء الاعتماد على الذات في إدارة حياته اليومية وخلق فضائه الأسري والاجتماعي والتعليمي والعملي، بعد أن خضع لرعاية وكفالة سليمة أتاحت و مهددت له الطريق السوي والسليم الذي من خلاله سيصنع ما يبغي إليه كإنسان واعي قادر على التفاعل و الانسجام مع متطلباته اليومية على مختلف الأصعدة.

في صورٍ متكاملة لأهمية دور كفالة اليتيم واعتباره فرد كما غيره من أفراد المجتمع، جاء الإسلام ليعالج و يضع كل الأخلاقيات و الركائز وأسلوب التعامل والاتصال مع اليتيم، إلى جانب حمايته قانونياً واجتماعياً، وظهر ذلك واضحاً في معالجة القرآن الكريم لهذه الظاهرة بذكرها ثلاثة وعشرين مرة في سور قرآنية متفرقة، بالإضافة إلى الأحاديث الشريفة. من هنا يأتي دور المؤسسات و الفعاليات الخيرية والشخصيات الدينية في وضع آلية تنفيذية لتفعيل وتعميق مفهوم كفالة اليتيم لدى النسل البشري ونشر الوعي الاجتماعي و الإنساني تجاه التعامل مع هذه الفئة والعمل على إعداد كوادر مختصة في المجال النفسي والتربوي والإرشادي عبر مؤسسات و منظمات تعمل لخدمة اليتيم من كل الجوانب.

اليتيم في المواثيق الدولية

جاءت المواثيق والقوانين الدولية كحاجة لرفع كل الظلم والاضطهاد والاستغلال عن الإنسان، ولوضع الجهات المسؤولة أمام التزاماتها الأخلاقية والإنسانية والقانونية، ومن ضمن تلك المواثيق والاتفاقيات جاءت اتفاقية حقوق الطفل ببنودها وقناديلها الأربع والخمسين، لتكون مجموعة من المصابيح والمعايير والالتزامات الغير قابلة للطعن، وتكون بمثابة الجدار الحامي لحقوق الأطفال ومناصرتهم ومساعدتهم في تلبية احتياجاتهم الأساسية، وتوفير المناخ الملائم أمام قدراتهم وطاقاتهم، وفتح الفضاء الواسع أمام تطلعاتهم ومهاراتهم، وايصال الطمأنينة والمحبة إليهم، لجعلهم كيانات فاعلة في مجتمعاتهم.

اتفاقية الطفل عبر موادها تشمل كل الأطفال على دون خلفية وضعهم الأسري والاجتماعي، وهكذا يكون اليتيم له كل الحق في التلذذ بتلك المواد والبروتوكولات والاتفاقيات التي تصون و تحترم حقوقه. في عام ١٩٨٩، أقرّ رؤساء العالم بحاجة أطفال العالم إلى اتفاقية خاصة بهم، لأنه غالبا ما يحتاج الأشخاص دون الثامنة عشر إلى رعاية خاصة وحماية لا يحتاجها الكبار. كما أراد الرؤساء أيضاً ضمان اعتراف العالم بحقوق الأطفال، وتتضمن الاتفاقية أربعة وخمسين مادة، وبروتوكولان اختياريان. وهي توضّح بطريقة واضحة حقوق الإنسان الأساسية التي يجب أن يتمتع بها الأطفال في أي مكان ودون تمييز.

جاءت الاتفاقية لتحدد عمر الطفل بثمانية عشرة عاماً وفق المادة الأولى «لأغراض هذه الاتفاقية، يعنى الطفل كل إنسان لم يتجاوز الثامنة عشرة، ما لم يبلغ سن الرشد قبل ذلك بموجب القانون المنطبق عليه». وتأتي المادة السادسة لتؤكد على حق الطفل في الحياة و العيش والنمو»١– تعترف الدول الأطراف بأن لكل طفل حقا أصيلا في الحياة. ٢ – تكفل الدول الأطراف إلى أقصى حد ممكن بقاء الطفل و نموه». بينما تتضح في الفقرة الأولى من المادة الثانية عشر حق الطفل في بناء الرأي والعالم الخاص بطفولته وفق نضجه وسنه «تكفل الدول الأطراف في هذه الاتفاقية للطفل القادر على تكوين آرائه الخاصة حق التعبير عن تلك الآراء بحرية في جميع المسائل التي تمس الطفل، وتولى آراء الطفل الاعتبار الواجب وفقا لسن الطفل و نضجه».

حددت الفقرة الأولى من المادة التاسعة عشر على حماية الطفل من كل أشكال الاستغلال الجنسي والعنف بشكل قاطع «تتخذ الدول الأطراف جميع التدابير التشريعية والإدارية والاجتماعية

والتعليمية الملائمة لحماية الطفل من كافة أشكال العنف أو الضرر أو الإساءة البدنية أو العقلية والإهمال أو المعاملة المنطوية على إهمال، وإساءة المعاملة أو الاستغلال، بما في ذلك الإساءة الجنسية، وهو في رعاية الوالد (الوالدين) أو الوصي القانوني (الأوصياء القانونيين) عليه، أو أي شخص آخر يتعهد الطفل برعايته». وكان للتعليم مادة خاصة عبر فقرات متعددة أعطت كل الأولوية في حق الطفل في التعليم لتنمية مواهبه وشخصيته وقدراته العقلية وذلك في المادة الثامنة والعشرين «تعترف الدول الأطراف بحق الطفل في التعليم».

كان لإيجاد وخلق الجو المناسب للطفل في اللعب واللهو من حقوقه المشروعة وفقا للفقرة الأولى من المادة الواحد والثلاثين «تعترف الدول الأطراف بحق الطفل في الراحة ووقت الفراغ، ومزاولة الألعاب وأنشطة الاستجمام المناسبة لسنه والمشاركة بحرية في الحياة الثقافية وفي الفنون». وتقر المادة الخامسة والثلاثين بالحماية القانونية للطفل في خطفه أو الاتجار به «تتخذ الدول الأطراف جميع التدابير الملائمة الوطنية والثنائية والمتعددة الأطراف لمنع اختطاف الأطفال أو بيعهم أو الاتجار بهم لأي غرض من الأغراض أو بأي شكل من الأشكال».

تشمل الأحكام الرئيسية الواردة في البروتوكول الاختياري الملحق باتفاقية حقوق الطفل والخاص باشتراك الأطفال في النزاع المسلح على التزام الدولة الطرف فيه بأن تتخذ جميع التدابير الممكنة عمليا لكفالة عدم اشتراك أفراد قواتها المسلحة الذين يقل سنهم عن ثمان عشرة سنة اشتراكا مباشرا في الأعمال العدائية. وأنه لا يجوز للدول الأطراف تجنيد أي شخص لم يبلغ سن الثامنة عشرة. كما يحظر البروتوكول على الجماعات المتمردة أو الجماعات المسلحة غير الحكومية تجنيد الأشخاص الذين لم يبلغ سنهم ثمان عشرة سنة أو استخدامهم في الأعمال العدائية. يشدد البروتوكول الاختياري الملحق باتفاقية حقوق الطفل والخاص ببيع الأطفال واستغلالهم في البغاء وفي المواد الخليعة تشديدا خاصا على تجريم الانتهاكات الخطيرة لحقوق الأطفال، وهي بيع الأطفال والتبني غير القانوني واستغلال الأطفال في البغاء والمواد الخليعة. ويؤكد على دور التعاون الدولي بهذا الخصوص في مكافحة هذه الأنشطة عبر الوطنية، وعلى قيمة الوعي العام وحملات الإعلام والتثقيف لتعزيز حماية الأطفال من تلك الانتهاكات الخطيرة لحقوقهم. ووضع قواعد لمعالجة الانتهاكات في ظل القانون المحلي، بما في ذلك ما يتعلق بمرتكبي الانتهاكات، وحماية الضحايا.

جاءت هذه المواثيق والاتفاقيات والمنظمات لتصون حقوق الطفل بمختلف فئاته العمرية وفروقاته الاجتماعية و الأسرية، ولتكون النافذة التي تشرق منها كل معاني الحياة والاهتمام والمحبة على ميادين الطفولة والبراءة، لكن رغم هذه الاتفاقيات مازلت هناك انتهاكات كبيرة تحصل بحق الطفولة، وذلك لعدم جدية تلك الدول و التزامها بالاتفاقيات، رغم إنها اعتبرتها الصك القانوني المحمي للطفل.

أن عدم تفعيل و تأسيس المنظمات الخاصة برعاية الطفولة، والشح الثقافي في نشر ثقافة حقوق الطفل في البيئات المجتمعية وعدم الاهتمام بتلك المواثيق والاتفاقيات كانت ذرائع وحجج لاستغلال الأطفال، والتعامي عن حقوقهم التي باتت واجباً اخلاقياً إنسانياً ليست بحاجة إلى أية مواثيق وبنود وعهود، لو كان بمقدرة الإنسان أن يتحكم بسلوكه الفطري السوي، الذي لم يصبغ بمكتسبات غير سوية في مجتمعات أطاحت و حطمت كل القيم الإنسانية وفقاً لشهواتها ومصالحها. فهكذا تطفأ كل المصابيح والقناديل في مجتمعاتنا أمام دروب اليتيم.

آليات ومعايير التواصل مع اليتيم

أن ازدياد عدد الأطفال «اليتامى» في الواقع السوري الراهن، يضعنا أمام مسؤولية كبيرة في العمل بكل جدية وحزم في كفالة اليتيم، لإعادة إنتاج كيان إنساني قادر على الانخراط والاحتكاك في المجتمع ليكون حالة إيجابية سوية في مجتمعه، قادر على الإنتاج و الأبداع في شتى المجالات، أن الاهتمام و رعاية الأيتام يتطلب منا جميعاً العمل في أكثر من مجال:

– الظلم والقهر والتعامي الذي يتلقاه اليتيم من محيطه، يضعه ويجعله عرضة لآثار واضطرابات نفسية خطيرة، ومن هنا بات جلياً علينا الأخذ بعين الاعتبار الجانب النفسي لليتيم و معالجته بأقصى سرعة لأن هذه الآثار النفسية هي من صناعة المجتمع نفسه الذي يهمل يتاماه، لذلك يجب العمل على إعداد عيادات نفسية متحركة و ثابتة في مناطق تواجد اللاجئين السوريين للحد من الآثار و الاضطرابات النفسية عند اليتيم.

– كن لليتيم الأب والأخ والأم والصديق، البسمة التي تلاقيه في كل مكان، الصدر الواسع والرحب الذي يحميه من فقدانه للحنان و طعم الأبوة و الأمومة، أن ايلاء اليتيم الاهتمام من الجانب العاطفي والأسري واجب وحاجة و ضرورة إنسانية لوضع اليتيم ومده بالحنان والعطف الذي فقده جراء فقدانه لوالديه، فبات من الضروري نشر التوعية بين الجمهور العام من خلال الحملات وحقل الإعلام ووضعه أمام مسؤولياته الأخلاقية تجاه اليتيم ومعاملته كفئة من فئات المجتمع دون أية فروقات.

– جراء الحروب والنزاعات المسلحة يصبح الطفل ذو اهتمام بالصور والمشاهدات اليومية المباشرة التي تضعه أمام سلوك مكتسب قادر على توجيهه نحو العمل اللاسوي في اكتساب لغة العنف والتوجه نحو حمل السلاح، وتكون العواقب أكثر من ذلك عندما يكون الطفل يتيماً بعيداً عن حاضنة أسرية اجتماعية تربوية تحميه من اثار الحروب و النزاعات المسلحة. فيجب العمل على إيجاد آلية ردع لكل من يحاول استغلال الأطفال في النزاعات المسلحة والعمل على التوعية الفكرية والحماية الاجتماعية لجميع فئات المجتمع عن مخاطر استغلال و جر الأطفال في سلوك بعيد عن عمره و براءته. والعمل لخلق طفولة هادئة وهانئة للأطفال الذين يعانون من ويلات الحروب والنزاعات المسلحة و التيتم والإرهاب.

– الاهتمام بالجانب التعليمي والتربوي، من خلال إعداد دور تعليمي يعمل ويشجع الطفل اليتيم على التعلم، حيث يبقى العلم هوالعامل الأساس في تقدم المجتمعات وتطورها، ويبقى الجدار الحامي لليتيم من الانحراف نحو بؤر الفساد و اللاأخلاق، وكذلك أبعاده عن شبح الأمية والجهل والفوضى والجريمة.

– تشكيل و إعداد فرق للمسح والإحصاء في المدن والمحافظات، حيث يقع على عاتقهم إجراء مسح دوري لعدد اليتامى واحتياجاتهم مع مراعاة التصنيف العمري.

– يحتاج اليتيم في حياته إلى الحضانة والعناية والتمريض، واهتمام ومعاونة في الجوانب النفسية المتعلقة بالحنان والرحمة والدفء الأسري، وحكماً يحتاج إليه الطفل مما يجعله آمناً بالطمأنينة والراحة النفسية، فبات واجباً تشجيع الأمهات وحثهن إلى حقوق حضانة أطفالهن اليتامى عبر البروشورات وحملات التوعية والزيارات الميدانية، وكذلك الاهتمام بثقافة اللمس والتواصل الحسي مع اليتيم حيث يشعر الطفل بالسعادة والحنان والأمان ويبعده عن معاناة الوحدة والألم وفقدان الحنان التي ستنتقل وترافقه عند الكبر مما ستشكل عنده عقد واضطرابات نفسية.

– فتح باب التواصل مع المنظمات والمؤسسات المختصة للاستفادة من تجاربهم وخبراتهم في رعاية الأيتام. وتسخير القدرات الإعلامية والاستفادة منها في تسليط الضوء على اليتيم من حيث الواجبات والحقوق، وعقد ورش العمل والمجالس الخاصة بكفالة اليتيم، والاستفادة من الطاقات التربوية وحث روح ثقافة التطوع في هذا المجال.

خلاصة

يجب الوقوف بكل جدية في بناء مؤسسات وجمعيات تقوم على رعاية الأيتام وتحث دور الكفالة لدى كل شرائح المجتمع عبر ركائز و برامج أساسية مهنية تتمثل في تأهيل الأيتام تربوياً و مهنياً وصحياً وتنشئتهم تنشئة سليمة وصحيحة لخلق مجتمع متساو يكون الإنسان يتساوى مع أخيه الإنسان في الواجبات والحقوق.

أن الطفل اليتيم في سوريا يحتاج إلى كل الحنان والدفء والاهتمام والرعاية الخاصة، لإعداده اجتماعياً ونفسياً، ليكون فرداً قادراً على متابعة مسيرة الحياة من خلال واجباته وحقوقه، فالواقع السوري الجديد يكتمل ويصبح أجمل بالاهتمام والاتصال والتقرب مع جميع المعضلات والمشاكل التي تواجه المواطن السوري في حياته اليومية داخل الوطن وفي بلاد اللجوء.

انه المأمول، في خلق قاعدة مختصة في العمل التربوي والنفسي والاجتماعي للاهتمام بكفالة اليتيم من جميع الجوانب للحد من الفروقات الاجتماعية والأسرية والنفسية في النسيج السوري الجميل، المنشد والتواق في بناء سوريا لكل السوريين يتساوى فيها المواطنون بالواجبات والحقوق دون أي تمييز.

تنمية الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة في المناطق الكردية

نوبار اسماعيل

طفل يرى كل شيء، يرغب بكل شيء ويملك من القدرة العقلية والأحاسيس ما يمكنه من الانخراط بمجتمعه بشكل طبيعي، إلا أن كل هذا لم يكن كافيا ليحظى بقبول من يحيطون به، وأكاد أقول من أقرب الناس إليه، فقط لأن الله أراد له ألا يسمع أو ينطق أو يبصر.

هل فكر أحد منا أن يتعرف على رغباته، أن ينمي موهبة له، أن يتواصل معه على أقل تقدير، أو أن يرافقه دون أن يقلل من إنسانيته؟ أن يسعى في تعليمه لغة تخصه ليتواصل بها مع محيطه ويشارك في تأدية دوره في المجتمع؟ وأخص بالذكر هنا الأطفال الصم والبكم، الذين يتحملون اليوم فوق آلامهم الداخلية ضغوط ومشاق الحرب.

طفلة تبلغ السابعة من عمرها، أمضت ما يقارب نصفها في ظروف الحرب، نزحت إلى مدينة القامشلي بعد أن فقدت والدها وأخاها وانهار المنزل الذي كان مخبأ لذكريات طفولتها، فانعقد لسانها عن رواية المأساة وأصيبت بالهلع. طفل آخر نزح من مدينة حلب، شهد انفجارا لقنبلة بالقرب من السيارة التي هربت بهم إلى الامان، مما تسبب في إصابته بالتأتأة (صعوبة في النطق). وحالات أخرى كثيرة لأطفال كرد استشهد آبائهم في المعارك مع الجماعات الإسلامية مما أدى لإصابتهم بنوع من العنف والتمرد .

خاص حنطة

وفي ظاهرة غريبة عن المنطقة الكردية طيلة السنوات المنصرمة في ظل النظام البعثي، وجود مركز صغير للاهتمام بالأطفال ممن يعانون من الصمم والبكم أو اولئك الذين عقد لهم لسان لشدة المظاهر المروعة التي شهدوها ومراقبة أوضاعهم وتقديم الدعم النفسي لهم.

تقول كوثر أومو الأخصائية النفسية ومعالجة النطق والمشرفة على كافة الحالات النفسية للأطفال في مركز آفا للتنمية الفكرية والجسدية: «نختص بمعالجة أطفال النازحين ومتضرري الحرب إضافة إلى ذوي الاحتياجات الخاصة، علما أننا تلقينا أعدادا كبيرة من أطفال العوائل النازحة من المدن السورية الأخرى دير الزور وحمص والبوكمال وسري كانيه (راس العين) ومن العراقيين الذين كانوا قد نزحوا إلى دمشق ومنها إلى القامشلي، أي النازحين مرتين.

بدوره أشار فايز محمد المعالج الفيزيائي في مركز آفا إلى سعيهم لمساعدة الاطفال وبالدرجة الأولى الذين يعانون من المشاكل النفسية جراء الظروف الراهنة وإعادة تأهيلهم نفسيا للمجتمع.

استقبل المركز ما يقارب ٢٥ من الأطفال المرضى النفسيين جراء الصراعات وتوصل في معالجتهم إلى نتائج جيدة، كذلك ٢٠ طفلا ممن خضعوا للمعالجة الفيزيائية، وصور لنا أشد الحالات تأثيرا عليه وهي إصابة طفل من معارك سري كانيي/ رأس العين بطلقات نارية في رجله وظهره.

في الآونة الأخيرة شرع المركز بتعليم لغة كانت

في طي النسيان على الرغم من أهميتها ودورها، علما أن الدول بدأت بتدريسها وتعليمها منذ مئات السنين ومن خلال معاهد وجامعات خاصة بها، سلط بها المركز الضوء على شريحة من الوافدين إلى مدينة القامشلي إلى جانب أبناءها كانوا ضائعين يبحثون عن مأوى لهم أسوة بباقي المحافظات للجلوس مع حالات مشابهة لهم، بغية التواصل مع شريحتهم، الشيء الذي افتقدته المدينة، فاستغل مركز آفا وجود عبدالله اسماعيل عضو جمعية رعاية الصم بدمشق ومترجم لغة الإشارة.

يتحدث اسماعيل: «أولئك الوافدون من الصم وممن هم من أبناء المنطقة لم يلقوا جهة تعني بأمورهم وتم تعهد الفكرة، الأمر الذي لاقى توجها لدى مركز آفا لتقديم الخدمات في هذا المجال».

وقد تم تخريج دفعتين من المتدربين ككادر في مجال تعليم الأطفال الصم والبكم وتهيئة كادر متدرب على لغة الإشارة كخطوة أولية، ليتم من ثم البدء بتعليم الأطفال الصم لغتهم. وتألفت كل مجموعة من ١٢ طالبا من ذوي الشهادات أو ممن يعملون في جمعيات تعنى بذوي الاحتياجات الخاصة والارشاد النفسي.

يقول المعالج الفيزيائي فايز محمد: «معرفتنا في كيفية ملء الفراغ في المجتمع الذي يتمثل بوجود الصم والبكم وعدم قدرتهم على التكيف والتواصل مع الحالة الاجتماعية كانت السبب وراء خطوتنا هذه كواجب إنساني».

ورأت كوثر أومو أن الصم بحاجة ماسة إلى النطق، لكننا نعاني من معوقات بأن ذوي هؤلاء الأطفال يقاطعون متابعتهم للعلاج نظرا لعدم توفر المواصلات وعدم توفر الوعي لدى الأهالي بإمكانية أن يتحول طفلهم إلى شخص مؤهل بإمكانه الاعتماد على نفسه. منوهة إلى ضرورة تعليم النطق للاطفال المؤهلين دون الكبار الذين يعانون صعوبة في تعلم النطق لضمور عضلات الحنجرة لديهم.

وتقول: «نتلقى الأطفال حتى عمر العاشرة لكن هناك تجاوزات، ومن الحالات التي قمنا بمعالجتها أطفال تلقوا صدمات نفسية نتيجة الحرب مما تسببت في فقدانهم لصوتهم نتيجة الخوف والرعب غالبيتهم أطفال نازحين ممن شهدوا مناظر مروعة».

خاص حنطة

وفي حديثه عن السر وراء ذكاء الشخص الأصم رأى عبدالله اسماعيل أن حرمانه من حاسة السمع يكون السبب في تمتعه ببصر وحدس حادين جدا لدرجة أن بإمكانه استنتاج الفكرة من تعابير وجه الأشخاص أو الحالة التي تحيط به وهذا ما يفسر براعتهم في الأعمال الحرفية وغيرها من أعمال التصميم الفوتوغرافي بشكل خاص.

بدورها تشرح لنا كوثر أومو السبب في مرافقة البكم للصمم في الشخص عينه وتعزو ذلك إلى عدم امتلاك الأصم أصواتا تمكنه من النطق، وأكدت ان كلتا الحاستين منفصلة وبالإمكان تنمية إحداهما دون الأخرى وتضيف: «نسعى لإفهام الطفل الأبكم بطريقة الإشارة والصوت وبالطريقة اللمسية لنتعرف على الحنجرة والنطق إذا ما كانا سليمين لديه».

تسعى كلناز ابراهيم لأن تكون أنموذجا مشجعا من خلال عملها كإدارية في مركز آفا وامتلاكها إعاقة في رجلها، وترى بأن الإعاقات في غالبيتها فكرية قبل أن تكون جسدية ويجب أن نقوّم الانسان على أساس عمله وليس شكله.

وتضيف «استقبلنا ٥٠ حالة نفسية للأطفال غالبيتهم من النازحين، والآن يراود مركزنا ٤ حالات للصم والبكم وهم لازالوا قيد المعالجة اثنان منهم من مدينة تل كوجر التي شهدت صراعات في الآونة الأخيرة».

ويرى فاروق اسماعيل وهو عضو متدرب في لغة الإشارة، أنه: «كان الهدف الأسمى لالتحاقنا بتعلم هذه اللغة هي المساهمة في سعي الفرد الأصم والأبكم لتلبية احتياجاته بنفسه دون الرجوع إلى الآخرين مما فتحت لنا قناة للشعور بمعاناة هؤلاء الأطفال».

العديد من المعوقات تقف في طريق مركز آفا للتنمية الفكرية والجسدية لمتابعة نشاطها من عدم توفر المواصلات والإمكانات المادية الضعيفة والتي تقدر بألف يورو (١٠٠٠) وتقدمها لها جمعية الجسر السويسرية، واستغلال الأهالي لحالات أولادهم في الحصول على المساعدات، بالإضافة لعدم وجود كادر ووسائل متخصصة لتأهيل المكفوفين وتقديم الدعم لهم.

وفي ختام حديثهم عبر أعضاء المركز عن أملهم في ملء الفراغ في المجتمع الذي يتمثل بوجود الصم والبكم وعدم قدرتهم على التكيف والتواصل مع الحالة الاجتماعية بهدف تعليم الأصم اللغة الأكاديمية والمنهجية بتعليمهم القاموس الإشاري الموحد.

يبقى أزيز الرصاص وأصوات المدافع، وتحليق الطيران وقصف بالصواريخ، والحرب الطاحنة سائدة في الأرجاء، وهو طفل لا يعلم ما يجري أو كيف، يهلع لحركة من حوله متحسسا محيطه عبرهم فالمشاهد المروعة تحدث على مرأى من عينيه، قد يفقد إثرها عزيزا على قلبه الصغير، يصرخ بصمت لا تسمعه إلا جدران قلبه الصغير الذي أنهكه التعب ومزقه حاجز الإعاقة الذي حال دون وصول أحاسيسه للناس،والحرب التي محت من عالمه الجميل كل آثار الطفولة والبراءة، التي من الصعب بجو كهذا استعادتها، في حين هناك وفي الطرف الآخر يعيش القاتل نشوة الانتصار.

مستقبل الكرد في سوريا والشرق الأوسط الجديد

سليمان كرو

خاص حنطة

يدرك المتتبع لتاريخ الشعب الكردي منذ تقسيم وطنه (كردستان) لأول مرة في عام ١٥١٤ وفق معاهدة جالديران فيما بين العثمانيين والصفويين (تركيا وإيران)، وحتى التقسيم الثاني بحسب اتفاقية سايكس بيكو المشؤومة في أوائل القرن المنصرم الذي كرس ووسع التجزئة، لتلحق جزءا ثالثا منها بالعراق والرابع بسوريا، وما رافقهما من تبعات مأساوية على مختلف أصعدة الحياة الكوردية وأهمها كارثة اتباع سياسات التتريك والتفريس والتعريب، عبر العقوبات الشديدة لمن يتحدث ويمارس طقوس عاداتهِ القومية الكوردية، وتصل العقوبة للإعدام. وسياسة الأرض المحروقة لأي جماعة تطالب بحق تقرير المصير، وما إعدام الشيخ سعيد بيراني والقاضي محمد وإبادة البارزانيين وقاسملو ومقاصل الشباب الكورد حتى هذا اليوم في إيران وغيرها، إلا نماذج لتعرضنا لهلوكوستات كانت كلها الدافع الاضطراري لشعبنا الكوردي للعيش بحالة النضال والكفاح الوطني اليومي ليدفع الموت عن نفسهِ أولاً ويحمي خصوصيته القومية ثانياً، والتي تتكفل كل القوانين والشرائع السماوية والدنيوية الوضعية بصونها وحمايتها من الأعمال الانصهارية الشوفينية، ولكنها رغم ذلك لم تجد قوى إقليمية أو دولية لمساندتها في الحفاظ على وجودها التاريخي.

لم ولن تستطيع أية قوة في العالم قهرنا والنيل من ثوابتنا مهما صغرت أو كبرت، وقد برهن شعبنا في الإقليم الجنوبي المحرر من كردستان منذ ١٩٩١ أنهم شعبٌ حر وديمقراطي حضاري وتجربتهم في النهضة العمرانية والثقافية وإدارة الحكم يحتذى بها في كل الشرق الأوسط .

هذه المنطقة التي تتميز بخارطة جيوسياسية استراتيجية للاستقرار العالمي، بدأت ملامح نهضتها الجديدة تتشكل بإرادة شعوبها الحرةِ هذه المرة، عبر انضمامها للربيع العربي كما يسميها البعض نرى أن الأصح ربيع الحرية التي تطمح لتحطيم هياكل الدكتاتوريات الإرهابية المتسلطة وبناء ورسم مستقبلنا وفق إرادتنا الحرة، وشعبنا الكوردي السوري الذي التحق بالثورة السورية العظيمة منذ يومها الأول جزء من هذا، ويراها إتماما لانتفاضتهِ الشامخة يوم ١٢ آذار٢٠٠٤ حيث قدم الشهداء والتضحيات وما يزال، حتى تحرير الوطن من حكم الطغمة البعثية الأسدية وأتباعهما من العصابات الإجرامية التكفيرية كداعش وغيرها من الميليشيات التي تحارب أهداف الثورة في بناء سوريا حرة ديمقراطية عادلة لامركزية لكل السوريين، الذين اصطدموا بتكالب كل القوى الإقليمية والدولية لجعل سوريا ساحة لتصفية صراعاتها الوحشية أو نقطة انطلاق لمصالحهم الخاصة، وذلك إما عبر دعم النظام بكل الوسائل وبشكل مباشر كروسيا والصين وإيران وحلفائهم لديمومة الإرهاب الأسدي، أوبالسكوت المشين من أمريكا والغرب وحلفائهما في تركيا والخليج العربي، الذين دعموا القوى والشخصيات المعارضة المنفذة لمصالحها وليس المصلحة الوطنية السورية التي أصبحت بوصلتها السياسية تتجه نحو جنيف٢ كأمل أخير لوقف النزيف الدامي والحفاظ على الوحدة الجغرافية الراهنة التي لا نراها صامدة للسببين التاليين:

أولا الصعوبات التي باتت تواجه مسألة العيش المشترك بين السنة والعلويين، وبين المسلمين والمسيحيين، وبين الكورد والعرب، الصعوبات التي زرعها الإرهاب الأسدي والعصابات التكفيرية ونمتها قوى المعارضات المختلفة في مواقفها السياسية الرافضة للنظام الفيدرالي في سوريا الغد.

والسبب الثاني يتجسد في رغبة الإرادة الدولية بالنظر لسوريا كعمود فقري لبناء الشرق الأوسط الجديد الذي يحتم عليها الاستقرار الشامل. وأولى مقوماته إنهاء الصراعات العرقية والدينية عبر نيل كل مكون لحقوقه الإنسانية والقومية وفق مبادئ حقوق تقرير المصير للشعوب المعترف بها من قبل كافة الهيئات التابعة للأمم المتحدة، والذي يعني عملياً رسم خارطة جغرافية جديدة للمنطقة عامة .

وهنا يأتي ما يهم قضيتنا الكردية.

إذا لم ندرك أهمية استثمار حيثيات هذه المرحلة الحساسة والفرصة التاريخية المناسبة في نيل حقوقنا القومية في النظام الفيدرالي، فسنكون أمام لوزان جديد. وهنا أناشد الأخ مسعود البارزاني الأب الروحي للأمة الكوردية بأن يشكل إقليم كردستان سوريا (روج آفا) الشريان النابض لحياة الجنوب الحر من وطننا عبر امتداده للبحر المتوسط من خلال حدود منطقة عفرين وجبل الأكراد، ناهيك عن حدودهِ الكبيرة مع شمال كردستان، وبالتالي عليك أيها البارزاني المناضل تحمل مسؤوليتك التاريخية في عدم ترك المفتاح الكوردي السوري بأيدي هواة السياسة، مما يسمون بزعماء الحركة الكردية في سوريا، الذين أثبتوا تكرار فشلهم السياسي الذريع منذ أيام في حوارات هولير٢ بعدم قدرتهم حتى على إبداء موقف سياسي واحد سواء بدعم ثورتنا السورية أو كيفية تشكيل سلطة لإدارة المناطق الكردية، كما ينبغي الحزم مواجهة قتل الكرد والمتاجرة بالقضية لتنفيذ أجندات أعداء الشعبنا الكردي الذي يرنو لإخوانهِ في المنطقة لبناء اتحاد شرق أوسطي جديد ترفرف فيهِ راية السلام بين الشعوب عالياً، لنكون حقاً أمام لوحة فسيفساء جميلة وحضارة إنسانية شرقية ديمقراطية وأصيلة.

«مشان إدعسلك عليه»

علي صدر الدين حمودي

يفتح الباب بشبه «رفسةٍ»، و يدخلون دفعةً واحدةً بطريقتهم الاستعراضيّة المسرحيّة، يتقدمهم أضخمهم، وينتشرون في أنحاء القاعة الإمتحانيّة.

–تفتيش!.

–أففف .. رابع تفتيش بهالمادّة.

تظنّ للوهلة الأولى أنّهم من قوّات الحرس الجمهوري، الذين يتميّزون بأناقتهم الشديدة، و بزاتهم المبتذلة وكرافاتهم، و سلاحهم الإسرائيليّ القصير، ووقاحتهم!

كان قد سُنّ تشريعٌ جديدٌ في الجامعات و هو منع إدخال الهواتف النقّالة حتّى ولو كانت مغلقةً إلى قاعات الإمتحان، وكان إسلوب المكافحةِ بدائيّاً يعتمد على التّفتيش المفاجئ، والقسريّ أحياناً ريثما يتمّ تركيب أجهزة التشويش..، في ذلك اليوم أربع حملات تفتيشٍ طالت قاعتنا، وكانت الدّوريّة مؤلفةً من عميد الكليّة، وهو دكتور برتبة بروفيسور، و نائبيه، و ثلاثة من عناصر الأمن الجامعي، ويتقدّمهم الضخم الذي يُطلق عليه لقب دكتور أيضاً، ولكنّي لم أعرف يوماً ما هي مهمّته في الجامعة، حيث كنت أراه فقط في حالات الشغب و التمرّد الجامعيّ، أو التمرّد الثّوري كما ذاك اليوم..

كان ضخم الجثّة بطريقةٍ غريبة، ويرتدي دائماً (ترانشكوت) طويلاً وحذاءً ضخماً، ويحمل فوق فمة شاربين أحمرين يغطيان شفته العليا على شكل خيمة، وكما الصرصار يرتعش شارباه عندما يتوتّر..

يداه عملاقتان بطريقةٍ كاريكاتوريّة، آه، الآن عرفت لماذا ظننت أن الباب قد فُتح برفسة!.

–(دكتور بعد إذنك ما فينا عم نكتب، و المادة صعبة وعم توترونا).

فجرت كلمتها في القاعة صمتاً مخيفاً طويلاً، يمتدّ لأربعة عقودٍ سابقة.. أربعين عاماً بأيامها و ساعاتها و لياليها المظلمة، الممتدّة إلى أمجد الحركات الانقلابيّة التّصحيحيّة، صمتاً لا يعرف شرحه إلا سجون حوت عبر عشرات السّنين رجالاً تنحني لهم الهامات.. لحظاتٌ طويلة.. ما الذي سيحدث.. هل سيعتقلون الجميع؟

البروفيسور عميد الكلية يضع يديه خلف ظهره ، وعيناه شاردتان في الزّاوية، ثمّ فجأة يقطع صمته ويقول:

–بنتي هاتي دفترك الإمتحاني..

–ليش؟

–سلمي دفترك وتفضلي طلعي لبرّة !

–دكتور مو معقول تسحبلي دفتري. شو حكيت أنا. مافينا عم نركز. ما حدا قادر يكتب..

–بسرعة!

–ليش دكتور.. كلشي طلبتو شويّة هدوء!.

ياااااه. شويّة هدوء.. جلُّ رغبتها كانت شوية هدوء.. أقلّ حقوقها الامتحانية .. شويّة هدوء بالامتحان..

–دكتور كلشي طلبتو شويّة هدوء..

–طيب الظّاهر إنتي ما بتفهمي بالحكي... هاتي دفتر، و بطاقتك، والحقيني على مكتبي.

كنّا نتابع الأحداث و نحن مذهولون من انتحارها المفاجئ، (الحقيني على مكتبي) تعني عقوبة الفصل التي تصل إلى أربع دورات امتحانية أو الفصل النّهائي، و كان من اللافت للنّظر مرافقة عميد الكليّة، حيث كانوا كالتّماثيل وراءه لا تبدو عليهم أيّة ملامح من أي نوع ، لم يتحرك في الصّورة إلا شاربَا الدّكتور (الحميروني)..

–دكتور أرجوك..

–(صارخا) الحقيني على مكتبي عم قلك!.

–طيب ليش؟

–رح قلّك ليش، مشان علمك كيف هالرّوح الثّوريّة، والبطولة عندك، وغيرتك على المصلحة العامّة، ما تظهر مرّة تانية.. هالحس الثّوري الجميل تبعك؛ الحقيني على مكتبي مشان إدعسلك عليه..

و أقسم بكلّ ما مرّ على البشريّة من أديانٍ ومعتقداتٍ ومذاهب ومدارس وآلهةٍ وكهنةٍ وأنبياء وأولياء ومباركين ومعاقين ومسؤولين وانتهازيين ومتسلقين، أن هذه الجملة التي قالها البروفيسور تختصر أغرب إنجازٍ ماسويٍّ ظهر على العقود الأخيرة تحت اسم البعث .

«البعث» ذلك التاريخ القذر.. (مسح الذّاكرة) هو المصطلح الوحيد الذي يعبر عن سياسة حزب البعث ضدّ الشّعوب «العربيّة» بأكملها. وشعاره بوحدة الأمة وعروبتها، لا يعني إلا جعل الأمّة خادمةً صهيونيّة أميركيّة رخيصة.

قال لي أحد السّياسيين العتاق مرّةً: أنتم أبناء البعث.. هذا التزمّت في الثّورة هو نتاج البعث، نحن لا نلومكم «عمّي»، نحن نعلم أن البعث من ربّاكم.. ولكنّه لم يُحسن تربيتكم ، فكان خطؤه بثورة.. هه!

نعم.. البعث من ربّانا، و نحن أبناؤه العاقّون. لم أكن أعلم أن ثمّة فكراً آخر على سطح كوكبنا غير البعث، فنحن ولدنا عليه، و بقينا عليه، كأنّما تولد في الدّنيا ولك والدٌ واحد، ولا يصحُّ أن يكون أكثر، وفجأةً تكتشف أنه لا بدَّ من وجود والدٍ آخر لك، فالبعث يحيط بك من كلّ جانب، فإذا دخلت المدرسةَ، فهذا يعني أنك دخلت مرحلة طلائع البعث، ثم شبيبة البعث ثم نصير البعث ثم العضو العامل في البعث ثم شهيد البعث.. في الزّواج و الطّلاق وفي الحياة و الممات، في مناسبات الكرامة و الطّهور.. البعث مشرّشٌ فينا، فهو الحزب القائد، وله مدارس و شوارع و أبنية الحزب القائد، ومقرات الحزب القائد، ومعتقلات الحزب القائد، وعلكة الحزب القائد، و فوط الحزب القائد.. بالأجنحة!.. تصفيق.. تصفيق.. بناء المبادئ على الوهم والقضايا الوهميّة التي قُبض ثمنها في سويسرا وتل أبيب، وصُنعت أعلامها كرافات و مظّلات.. تصفيق.. أعياد وطنيّة لا أساس لها.. تصفيق.. انتصاراتٌ نحتفل بإنجازها مع العدوّ سويّاً.. تصفيق.. هتافاتٌ.. شعارات.. تصفيق.. جبهات القتال والأبطال وأبو طقم الليموني.. تصفيق.. تصفيق..

تبّاً للعالم.. فكرٌ قمعيٌّ بكلّ ما على الأرض من قمع، قمعيٌّ بكلّ ما على الأرض من قذارة.

برميل الذئبة المعدنية

وائل زكي زيدان

في البداية، سترتاب من الصوت، وتخشى أن يكونَ هو ذاتهُ الصوت المدرج لديك في قائمة العار. الخوفُ والارتياب حقّان مشروعان، لأن من يقرأ ذلك الصوت مكتوباً على شكل نوتة خارج سوريا، ليس كمن يسمعهُ معزوفاً بهيلوكوبتر كل يوم في سمائها. لهذا ينبغي الإسراع بالتحقق منهُ بين الأصوات المكدّسة داخل رأسك.

يجب أن تُزيح صوت الدراجة النارية حالاً من أمام بوق السيارة، وترفع جلبة الناس في الخارج بعيداً عن مواء القطة، حَذِراً أشد الحذر من اختلاط دقات قلبك الراجفة مع دقات الساعة، وحالما تستوثق أنه هو، سينخفض تلقائياً منسوب الأمل بنسبة أربعين في المئة، وترتفع نسبة الأدرينالين في الدم بمعدل أقل مما لو كان الصوت مصدرهُ طائرة ميغ أو سيخوي، فصوت الحوّامة قبل الثورة حيادي ولا شيء غير ذلك، لكنه بعد الثورة أشبه بمسمار يثقب الرأس من الداخل إلى الخارج كأي فكرة مريعة تخطر على بال إنسان.

من الإنصاف القول إنه الصوت الوحيد في حرب الإبادة هذه، الذي يمنحك فرصة الوصول للباب الخارجي ثم الشارع، بينما الميغ والسيخوي تمنعانك حتى من التباهي بأن لك رأسا في الأصل.

أنت الآن في الشارع بلا زمن، تقلِب الغيوم والسماء رأساً على عقب كي تراها، فعيون الناس لن تساعدك بأكثر من تحديد الجهة. أما الذئبة المعدنية التي تعوي في السماء فلن يكتشف موقعها إلا سمعكَ وبصرك السليمان.

يتألف السوريون عادة في مثل هذه الحالات من لحم ودم ورهبة، بينما تتألف الحوامة، من فولاذ وقتلة. تدور الحوّامة عدة مرات قبل دخول المجال الجوي للمدينة المستضعفة عمداً بقصد انتظار أكبر تجمع للضحايا العزّل في المدينة المكشوفة.

« عجوز يتوسل أن لا يتجمهر أحد أمام منزله».

«أم تفشل بتهدئة صغارها الفزعين».

«أخرى توبخ ابنها الشاب لأنه عاد من لبنان»..

« أخت تسأل عن أخيها الصغير..»

الجميع يحذّر الجميع من الوقوف وسط الشارع على أمل أن تشطبه الطائرة هو وعائلته من حساباتها. الحوامة تدور والناس يلوذون بالجدران.

من أجمل الصيحات في العالم تلك اللحظة: «راحت..! راحت!»، وأسوء خبر: «صارت فوقنا». .

البرميل الذي سيُلقى على الناس بعد قليل، اسم فلوكلوري وشعبي أطلقه الناس أنفسهم.

على قنبلة ضخمة زِنتها حولي ربع طن، تستطيع أن تدمر أكثر من بيت مؤلف من طابقين، وتسحقها بشكل كامل على رؤوس قاطنيها.

لم يعد تدمير المنزل الشخصي في سوريا من الأمور التي يصعب تقبّلها، فالسوري ينظر اليوم إلى أنقاض منزله بسعادة الذي لم يكن بالصدفة موجوداً فيه.

عندما تسمع صيحات الناس «شَلَفَت..! شَلفت!»، يجب وخلال ثوان أن تجري بعض الحسابات الهندسية والفيزيائية كي تستنتج ، هل من الحكمة الدخول للبيت أم الركض والابتعاد عنه قدر المستطاع؟ وحده فيثاغورس يمكنه إجراء مثل هذه الحسابات، صفير البرميل الملقى من السماء يرغمك على إغماض عينيك مباشرة، والعجيب أنه حتى لو كانتا نصف مفتوحتين فإنك لن ترى أحداً ممن يلتصق بك، وستتبخر الجدران والأشياء وتفقد إحساسك بجسدك، لا أفكار ولا مشاعر، وتصبح علاقتك بكل ما يحيط بك خالية من المعنى. في هذه اللحظة بالذات، أنت من أكثر الأرواح وحدة في هذا الكون، وهو موقف لا يحسدك عليه سوى شيوخ الصوفية في العصر المملوكي.

إن صوت انفجاره الهائل على مسافة قريبة منك لن يكون هو الخاتمة، لأن المدافع من حواجزالنظام القريبة ستبدأ بالعمل، وهكذا تنتهي دائماً قصة صوت الحوامة، لتبدأ ملحمة المدفعية.

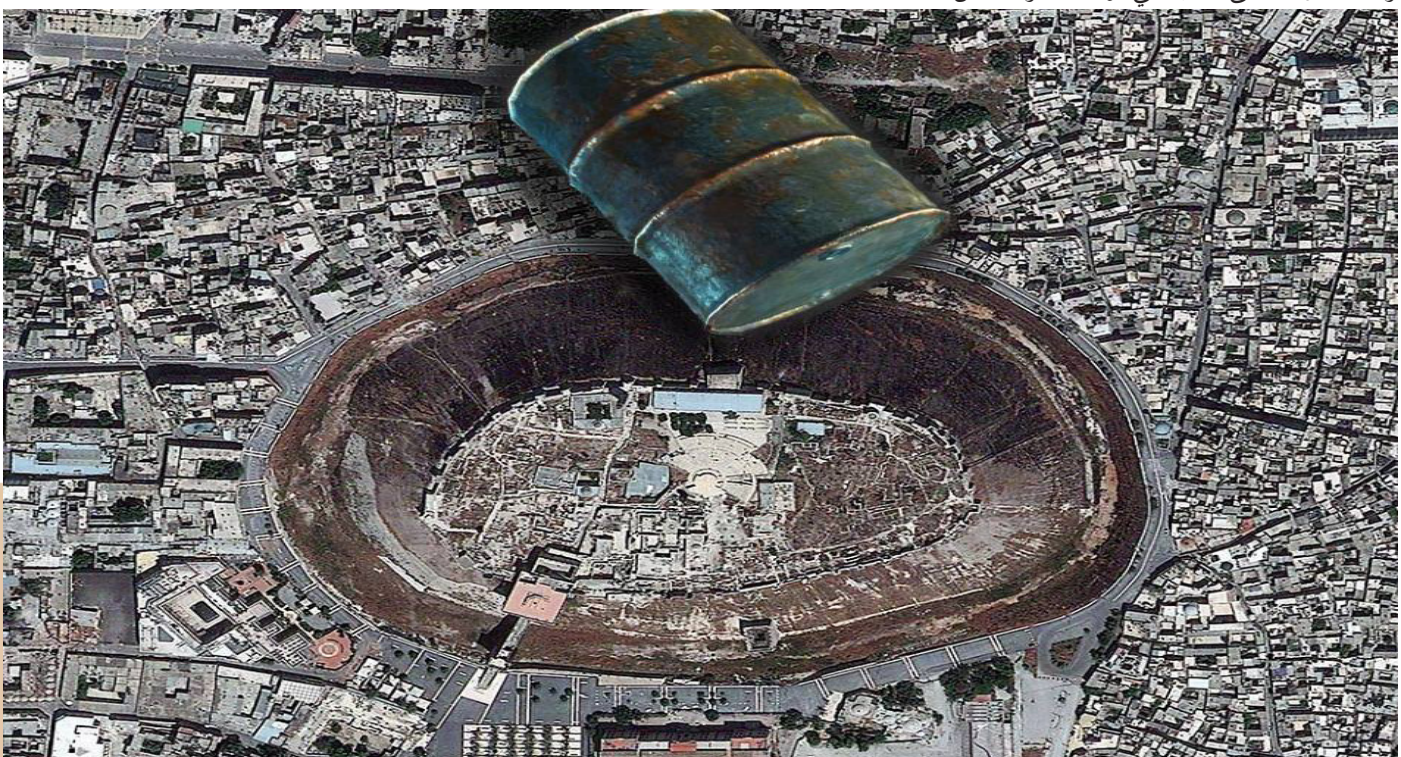

الحارس، الذئب، وشيء ليس الحنين

خضر سلمان

١– الحارس:

يجب على أحدهم ألا ينام حين تنام المدينة, لا بد من حارس للحرام.

لعلَّ موظفاً متعباً يرغب أن يتعاطى شيئاً ويلمس صدراً غير امرأته, لعل هناك من ضيّع درب الخمارة في آخر الشارع, لعل لصاً يريد أن يلتفت لرزقه, لعل مجنوناً يريد أن يتعرى أمام شبابيك الطالبات.

لعل أحداً من هؤلاء سينظر من الشباك, ولعله يراني فيمتلئ قلبه بالعزيمة كجنديٍّ في حصار.

كلهم دواجن, هل ترى كل هذه المدينة؟ كلهم فراخ في مدجنة, إلا من تحرس أنت الحياة من أجلهم في العتمة والبرد..

كلهم يحلمون نعم, لكن كلهم يكذب أحلامه.

يحلمون بأن يشتهوا مثلك السرير والحلال بينما هم يسكرون في العتمة والمدى المهتوك, يحلمون بأن يكونوا أقوياء على الوحشة, يحلمون ببيرتك وصراخك, ويحلمون بأن يقولوا للشرطي حين سألك ماذا تفعل هنا:

«أحرس الحرام»..

٢– الذئب

محسوبك ذئب ابن رصيف. هذا الذئب الذي لبى نداءك يوماً, وطوى المسافاتِ حتى وصل إليكِ وأعمل أنفه المتعب في شعرك المدلَّل, هو من صناعة الرصيف يا حلوة, وعلى بطاقته الشخصية صورة لجثة قطةٍ بجانب الحاوية, واسمٌ ممحوٌّ بغبار البناء.

أذكر وأنا أمس زندك الأبيض, أن رصيفاً مكوياً بالشمس وزيت السيارات وفضلات الكلاب في القاهرة, أمنني أن أحكي عنه قليلاً إذا مسست زنداً أبيض.

لا يحلم الرصيف بالحقول ولا يحسد الشجر, هو ليس بهذه السذاجة, إنه يحلم برؤية امرأةٍ عارية ويحسد جدران غرف النوم, لا يعد النجوم وصراصير الليل في السهرة, بل كم جنساً يحصل في المدينة الآن, وإلى أي صدرٍ أوت كل عينين حمراوين مرتا من هنا أول الليل..

حين أخبرتصديقي الرصيف أنني من قريةٍ عدد سكانها بعدد سكانه في التاسعة صباحاً بكى, وعندما قلت له إن أرصفة طرطوس يغسلها المطر وتمر عليها رياح المرافئ البعيدة أشعل سيجارةً وغيَّر الحديث بكبرياء المجروح, مكسوراً كيتيمٍ بين أمهات الآخرين, كابن شهيدٍ في درس التربية القومية.

وعلمني أشياء كثيرة, رهافة السمع وعَدُّ الجنس في المدينة.

لقد عددتُ أصوات اهتزاز الأسرَّة من بعيد. بي منه الرهافة, بي من الأرصفة مثل ما بك من الورد, وحواسي حواس رصيفٍ كما حواسك حواسُّ بابٍ مترَفٍ في دمشق القديمة, لكن موهبتي وليدة الضرورة, حاجة البقاء, ورهافتك هي لابنة التاجر التي تستحم بالعسل.

المهم, قال لي: سلم عليها وقل لها أن تمر عليَّ عارية.

الرصيف يسلم عليكِ, ويقول لكِ مُري عليه عاريةً..

٣– شيء ليس الحنين:

أكره الحنين, لكنني أحب هذا المأوى من التفاصيل, الذي يمر ببالي, يلفني كدرعٍ أو كمعطف

كلما صخبت حولي المدن الكبيرة

هيت لك أيتها الذكريات..

لم لا, وفراشي بارد ولا بنات هنا, والمطر في مرسين يشبه المطر في طرطوس, ولا خوف علي من الجنون, وأنا أعيش في قلبه, لم لا؟

أذكر أنه يوم قرر الجنون أن يتوب

صببت له كأساً وتركته مع راقصة سكرانة,

ودفعت عنه الحساب ببسالة صديق السوء

أذكر أنه عندما قرر أن يرمي السلاح

شددته من أذنه

وأعطيته درساً في الجنون

لم لا, أمطري أيتها الذكريات

مطر مرسين لم يشبه مطر طرطوس عبثاً..

لم أحب الذهاب إلى شغل الزيتون يوماً, لكن الزيتون يحبني. هذا محرج

في الشوارع الغريبة, كثيراً ما يرمي على قلبي رائحته الأليفة

كلما تبعني لص مسلح أو دخلت في حارة سوداء

ويقول لي تشجع فهذا العالم أوهن مما يبدو عليه

ويقول لي أن أحبكِ بعرقك

السنة ما في موسم, كان الله في عون أبي

تخيلي أن يمر عليك عام بلا موسم

ولا يطلع زغبٌ على ظهرك

ولا يكبر صدرك..

مع أنها تمطر..

كان الله في عون أبي

أبي الآن يرقب الشتاء من النافذة

ويذرف على كل زيتونة لم يقطفها دمعة

ويشكر الله على الحرمان

كأي فلاح طافح باليقين..

أحياناً أفكر, لو لم أولد على البحر كان ليحتاج الأمر قيصرية, لأن أمي لم تعرف السهولة منذ صرختي الأولى

لكن البحر يساعد النساء حين يحملن غرباء

ويساعد الغرباء في حمل النساء أيضاً

جربي أن تقفزي في الهواء وانظري كيف تلتقطك ذراعاي

بثقةٍ واعتياد, حتى أنني لا أنسى أن ألمس صدرك بالغلط

جربي أن تقفزي في البحر وانظري كيف تلتقطك ذراعاه

بثقة واعتياد, حتى أنه لا ينسى أن يغتصبكِ بالغلط, يعتصركِ, يقتلكِ, يبعثك, يبكي على قدميكِ

ويُبكيكِ على كل ما مضى..

البحر عبقري أنانيٌّ ونزق, عندما فتح عينيه على العوالم ظن أن كل هؤلاء النساء له, فابتلع نصف اليابسة واستعد بما ترين من العواصف والخطر والجمال

وها هو

لا يدري أين يذهب بكل هذا المزاج العالي

وكيف يحتال على بنطاله المنتفخ إلى الأبد

وها هو

كلما عادت موجةٌ فارغة اليدين

يلعن من كان السبب

مع أن أحداً لم يخدعه

هذا الصديق القديم

هذا الأناني الذي لا يطاق

الذي يعربد في شتاء طرطوس الآن

بدوني

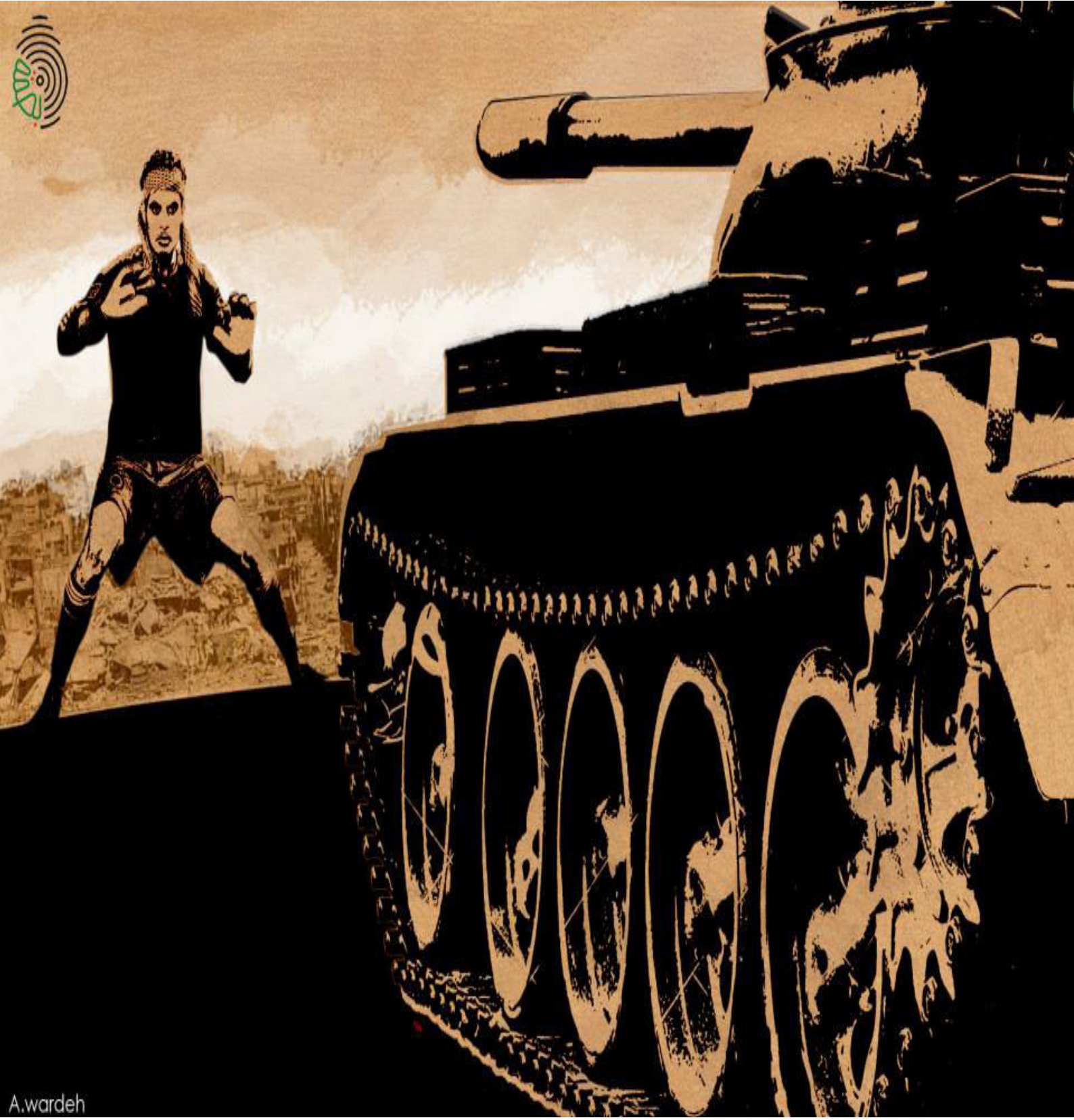

المدير العام ورئيس التحرير: ناجي الجرف

مدير التحرير: بشرى جود

المدير الفني: بحر عبد الرزاق

المدير الإداري: جمال حسون

ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان

حنطة

شهرية | مستقلة

هيئة التحرير

ثابت اسماعيل

جمال الجميلي

جنان علي

خضر سلمان

عروة محمد

المدنيون
يموتون جوعاً
تحت الحصار
في مخيم اليرموك
Hani Abbas
هاني عباس